يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين (17) ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (18) إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون (19) ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم (20) يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم (21)

النور 21 - 16
سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين
هلا قلتم إذ سمعتم الافك ما يصح لنا أن نتكلم بهذا سبحانك للتعجب من عظم الأمر ومعنى التعجب فى كلمة التسبيح أن الأصل ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة وإنما جاز أن تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لأن النبى مبعوث إلى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات هذا بهتان زوريبهت من يسمع عظيم وذكر فيما تقدم هذا افك مبين ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة فى التبرى يعظكم الله أن تعودوا فى أن تعودوا المثله لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه أبدا مادمتم احياء مكلفين إن كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الإيمان الصاد عن كل قبيح ويبين الله لكم الآيات الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والأداب الجميلة والله عليم بكم وبأعمالكم حكيم يجزى على وفق أعمالكم أو علم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا أى ما قبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الإشاعة ومحبة لها لهم عذاب أليم فى الدنيا بالحد ولقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى وحسافا ومسطحا الحد والآخرة بالنار وعدها إن لم يتوبوا والله يعلم بواطن الأمور وسرائر الصدور وأنتم لا تعلمون أى أنه قد علم محبة من أحب

الإشاعة وهو معاقبه عليها ولو لا فضل الله ورحمته لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة فى المنة عليهم والتوبيخ لهم وأن الله رءوف حيث أظهر براءة المقذوف وأثاب رحيم بغفرانه جناية القاذف إذا تاب يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان أى آثاره ووساوسه بالاصغاء إلى الافك والقول فيه ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه فإن الشيطان يأمر بالفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منهم من أحدا أبدا ولولا أن الله

ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (22) إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم (23) يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (24) يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين (25)

النور 25 - 21
ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم
تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من أثم الافك ولكن الله يزكى من يشاء يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها والله سميع لقولهم عليم بضمائرهم وإخلاصهم ولا يأتل ولا يحلف من ائتلى إذا حلف افتعال من الالية أولا يقصر من الالو أولوا الفضل منكم فى الدين والسعة فى الدنيا أن يؤتوا إن كان من الألية أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله أى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للاحسان أولا يقتصروا فى أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها وليعفوا ولصفحوا العفو الستر والصفح الاعراض أى ولنجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة ألا تحبوا أن يغفر الله لكم فليفعلوا بهم ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم والله غفور رحيم فتأدبوا بأدب الله واغفروا وارحموا نزلت فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه فى

عائشة رضى الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قرأها النبى صلى الله عليه وسلم على أبى بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لى ورد إلى مسطح نفقته إن الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الأمور المؤمنات بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضى الله عنهما هن أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل هن جميع المؤمنات إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أريدت عائشة رضى الله عنها وحدها وإنما جمع لأن من قذف واحدة من نساء النبى عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهن لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم جعل القذفة ملعونين فى الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة إن لم يتوبوا والعامل فى يوم تشهد عليهم يعذبون وبالياء جمزة وعلى ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بم اكانوا يعملون أى بما افكوا أو بهتوا والعامل فى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذى هم أهله وقرأ مجاهد بالرفع صفة كقراءة أبى وفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفا لله بأن ينتصب على المدح ويعلمون عند

الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم (26)

النور 26 - 25
ذلك أن الله هو الحق المبين لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضرورى ولم يغلط الله تعالى فى القرآن فى شئ من المعاصى تغليظه فى افك عائشة رضى الله عنها فأوجز فى ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وما ذلك إلا لأمر وعن ابن عباس رضى الله عنه من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض أمر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة فى أمر الافك ولقديرا الله تعالى أربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم رضى الله عنها بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآى العظام فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظركم بينها وبين تبرئة اولئك وما

ذلك إلا لا ظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على إنافة محله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الخبيثات من القول تقال للخبيثين من الرجال والسناء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون إشارة إلى الطيبين وأنهم مبرءون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضى الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها فى النزاهة والطيب ويجوز أن يكون إشارة إلى هل البيت وأنهم مبرءون مما يقول أهل الافك وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء الخبائث يتزوجن الخباث والخباث تتزوج الخبائث وكذا أهل الطيب لهم مغفرة مستأنف أو خبر بعد خبر ورزق كريم فى الجنة ودخل ابن عباس رضى الله عنهما على عائشة رضى الله عنها فى مرضها وهى خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لا تخافى لانك لا تقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم وتلا الآية فغشى عليها فرحا بما تلا وقالت عائشة رضى الله عنها لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة نزل جبريل بصورتى فى راحته حين امر عليه السلام ورأسه فى حجرى وقبر فى بيتى وينزل عليه الوحى وأنا فى لحافه وأنا ابنة خليفته وصديقه ونزل عذرى من السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما وقال حسان متعذرا فى حقها ... حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ... حليلة خير الناس دينا ومنصبا ... نبى الهدى والمكرمات الفواضل ... عقيلة حى من لؤى بن غالب ... كرام المساعى مجدها غير زائل ... مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل شين وباطل

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (27) فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم (28) ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (29) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (30)

يأيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم أى بيوتا لستم تملكونها ولا تسكنونها حتى تستأنسوا أى تستأذنوا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قرأبه والاستئناس فى الأصل الاستعلام واستكشاف استفعال من أنس الشئ إذا أبصره ظاهرا مكشوفا أى حتى تستعلموا ايطلق لكم الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح وتسلموا على أهلها والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له والا رجع وقيل إن تلاقيا يقدم التسليم والا فالاستئذان ذلكم أى استئذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن فكان الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد لعلكم تذكرون أى قيل لكم هذا لكى تذكروا وتتعظوا وتعملوا ما أمرتم به فى باب الاستئذان فإن لم تجدوا فيها في البيوت أحدا من الآذنين فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم حتى تجدوا من يأذن لكم أو فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكك فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها لأن التصرف فى ملك الغير لا بد من أن يكون برضاه وإن قيل لكم ارجعوا أى إذا كان فيه قوم فقالوا ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا فى إطلاق الإذن ولا تلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب لأن هذا مما يجلب الكراهة فإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك وعن أبى عبيد ما قرعت بابا على عالم قط هو أزكى لكم أى الرجوع أطيب وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة أو أنفع وأنمى خيرا والله بم اتعملون عليم وعيد للمخاطبين بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ليس عليكم جناح أن تدخلوا فى أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة استثنى من البيوت التى يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوانيت النجار فيها متاع لكم أى منفعة كالاستكنان من الجر والبرد إيواء الرحال والسلع والشراء والبيع وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم من للتبعيض والمراد

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (31)

النور 31 - 30
ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون
غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل ويحفظوا فروجهم عن الزنا ولم يدخل من هنا لأن الزنا لارخصة فيه بوجه ويجوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفها وقدميها في رواية وإلى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين ذلك أى غض البصر وحفظ الفرج أزكى لهم أى أطهر من دنس الإثم إن الله خبير بما يصنعون فيه ترغيب وترهيب يعنى أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر فى كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجنه أمر بغض الابصار فال يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبى إلى ما تحت سرته إلى ركبتيه وإن اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر إلى المرأة إلا إلى مثل ذلك وغض بصرها من الأجانب أصلا أولى بها وإنما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور فبذر الهوى طموح العين ولا يبدين زينتهن الزينة ما تزينت به المرأة من حلى أو كحل أو خضاب والمعنى ولا يظهرن مواضع الزينة إذ إظهار عين الزينة وهى الحلى ونحو مباح فالمراد بها مواضعها أو إظهارها وهى فى مواضعها لاظهار مواضعها لإظهار أعيانها ومواضعها الرأس والأذن والعنق والصدور والعضدان والذراع والساق فهى للاكليل والقرط القلادة والوشاح والدملج والسوار والخلخال إلا ما ظهر منها إلا ماجرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان ففى سترها حرج بين فإن المرأة لا تجديدا من مزاولة الأشياء بيديها ومن إلى كشف وجهها خصوصا فى الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشى فى الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وليضربن وليضعن

من قولك ضربت بيدى على الحائط إذا وضعتها عليه بخمرهن جمع خمار على جيوبهن بضم الجيم مدنى وبصرى وعاصم كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى تغطينها إلا لبعولتهن لأزواجهن جمع بعل أو آبائهن ويدخل فيهم الأجداد أو آباء بعولتهن فقد صاروا محارم أو أبنائهن ويدخل فيهم النوافل أو أبناء بعولتهن فقد صاروا محارم أيضا أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن ويدخل فيهم النوافل

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (31) وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم (32)

النور 32 - 31
أو نسآئهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال وسائر المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة أو نسائهن أى الحرائر لأن مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر أو ما ملكت أيمانهن أي امائهن ولا يحل لعبدها أن ينظر إلى هذه المواضع منها خصيا كان أو عنينا أو فحلا وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم سورة النور فإنها فى الاماء دون الذكور وعن عائشة رضى الله عنها أنها أباحت النظر إليها لعبدها أوالتابعين غير بالنصب شامى ويزيد وأبو بكر على الاستثناء أو الحال وغيرهم بالجر على البدل أو على الوصفية أولى الاربة الحاجة إلى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من أمرهن أو شيوخ صلحاء أو العنين أو الخصى أو المخنث وفى الأثر أنه الجبوب والأول الوجه من الرجال حال أو الطفل الذين هو جنس فصلح أن يراد به

الجمع لم يظهروا على عورات النساء أى لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشئ إذا اطلع عليه أو لم يبلغوا أو ان القدرة على الوطء من ظهر على فلان إذا قوى عليه ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المرأة تضرب الأرض برجليها إذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فنهين عن ذلك اذ سماع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمى صوت الحلى وسواما وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون أيه شامى اتباعا للضمة قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء ولأن بعدها ألفافى التقدير لعلكم تفلحون العبد لا يخلو عن سهو وتقصير فى أوامره ونواهيه وان اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتأميل الفلاح إذا تابوا وقيل أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس له حاجة بالتوبة وظاهر الآية يدل على أن العصيان لا ينافى الإيمان وأنكحوا الايامى منكم الايامى جمع أيم وهو من لا زوج له رجلا كان أو امرأة بكرا كان أو ثيبا وأصله أيائم فقلبت والصالحين أى الخيرين أو المؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من عبادكم وإمائكم أى من غلمانكم وجواريكم ولامر للندب إذ النكاح مندوب إليه إن يكونوا فقراء من المال يغينهم الله من فضله بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين وفى الحديث التمسوا الرظق بالنكاح وعن عمر رضى الله عنه روى مثله والله واسع غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق عليم يبسط الرزق لمن

وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم (33)

النور 33
يشاء ويقدر وقيل فى الآية دليل على أن تزويج النساء والايامى إلى الاولياء كما أن تزويج العبيد والاماء إلى الموالى قلنا الرجل لا يلى على الرجل الايم إلا باذنه فكذا لا يلى على المرأة إلا باذنها لأن الايم ينتظمهما وليستعفف الذين ولجتهدوا فى العفة كأن المستعف طالب

من نفسه العفاف لا يجدون نكاحا استطاعة تزوج من المهر والنفقه حتى يغنيهم الله من فضله حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الأوامر فامر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المغنى عن الاحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن تقدر عليه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم أى المماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء أو منصوب بفعل يفسره فكاتبوهم وهو للندب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فان أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسى ان تعتق منى إذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لاطلاق الأمر ان علمتم فيهم خيرا قدرة على الكسب أو أمانة وديانه والندبية معلقة بهذا الشرط وآتوهم من مال الله الذى آتاكم أمر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى وفى الرقاب وعند الشافعى رحمه الله معناه حطوا من بدل الكتابة ربعا وهذا عندنا على وجه الندب والأول الوجه لأن الايتاء هو التمليك فلا يقع على الحط سأل صبيح مولاه حويطبا أن يكاتبه فأبى فنزلت واعلم ان العبيد أربعة قن مقتنى للخدمة ومأذون فى التجارة وكاتب وآبق فمثال الأول ولى العزلة الذى حصل العزلة بايثار الخلوة وترك العشرة والثانى ولى العشيرة فهو نجى الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطى فى الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله فالدنيا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل فى الغضب والرضا ميزانه والقصد فى الفقر والغنى عنوانه والعلم مفزعة ومنحاه والقرآن كتاب الإذن من مولاه هو كائن فى الناس

وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا

وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم (33)

النور 33
بظواهره بائن منهم بسرائره فقد هجرهم فيما له عليم فى الله باطنا ثم وصلهم فيما لهم عليه لله ظاهرا ... وما هو منهمو بالعيش فيهم ... ... ولكن معدن الذهب الرغام
يأكل ما يأكلون ويشرب ما يشربون وما يدريهم انه ضيف الله يرى السموات والأرض قائمات بامره وكأنه قيل فيه ... فان تفق الانام ... وأنت منهم ... فان المسك بعض دم الغزال
فحال ولى العزلة أصفى وأحلى وحال ولى العشرة أو فى وأعلى ونزل الأول من الثانى فى حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان أما النبى عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلالين فباطن أحواله مهتدى ولى العزلة وظاهر اعماله مقتدى ولى العشرة والثالث المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه فى اليوم والليلة خمس وفى المائتين درهما خمسة وفى السنة شهر وفى العمر زورة فكأنه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى فى فكاك رقبته خوفا من البقاء فى ربقة العبودية وطمعا فى فتح باب الحريه ليسرح فى رياض الجنة فيتمتع بمبياه ويفعل ما يشاؤه ويهواه والرابع الاباق فما أكثرهم فمنهم القاضى الجائر والعالم غير العامل والعامل المرائى والواعظ الذى لا يفعل ما يقول ويكون أكثر أقواله الفضول وعلى كل ما لا ينفعه يصول فضلا عن السارق والزانى والغاصب فعنهم أخبر النبى عليه الصلاة والسلام ان الله لينصر هذا الدين بقوم لاخلاق لهم فى الآخرة ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء كان لابن أبى ست جوار معاذة ومسكية وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهم الضرائب فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر لبغت إن أردن تحصنا تعففا عن الزنا وإنما قيده بهذا الشرط لأن الاكراه لا يكون الامع إرادة التحصن فآمر المطيعة للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره اكراها ولانها نزلت على سبب فوقع النهى على تلك الصفة وفيه

توبيخ للموالى أى إذا رغبن فى التحصن فأنتم أحق بذلك لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا أى لتبتغوا باكراههن على الزنا أجورهن وأولادهن ومن يكرههن فان الله من بعد إكراههن غفور رحيم أى لهن وفى مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لهن والله لهن والله ولعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذى

ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين (34) الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم (35)

النور 35 - 34
يخاف منه التلف فكانت آثمة أولهم إذا تابوا ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات بفتح الياء حجازي وبصرى وأبو بكر وحماد والمراد الآيات التى بينت في هذه السورة وأوضحت فى معانى الاحكام والحدود وجاز أن يكون الأصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف أى أجرى مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه وبكسرها غيرهم أى بينت هى الأحكام والحدود جعل الفعل لها مجازا أو من بين يمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من أمثال من قبلكم أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عائشة رضى الله عنها وموعظة ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله لولا إذ سمعتموه ولولا إذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا للمتقين أى هم المنتفعون بها وان كانت موعظة للكل نظير قوله الله نور السموات والأرض مع قوله مثل نوره ويهدى الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس يكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات والأرض الحق شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور أى من الباطل إلى الحق وأضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشوا إضاءته حتى

تصئ له السموات والأرض وجاز أن المراد أهل السموات والأرض وانهم يستضيئون به مثل نوره أى صفة نوره العجيبة الشأن فى الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهى الكوفى فى الجدار غير النافذة فيها مصباح أى سراج ضخم ثاقب المصباح فى زجاجة فى قنديل من زجاج شامى بكسر الزاى الزجاجة كأنها كوكب درى مضئ بضم الدال وتشديد الياء منسوب إلى الدرلفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة عمرو وعلى كأنه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم والهمزة أبو بكر وحمزة شبه فى زهرته بأحد الكواكب الدرارى كالمشترى والزهرة ونحوهما توقد بالتخفيف حمزة وعلى وابو بكر الزجاجة ويوقد بالتخفيف شامى ونافع وحفص ويوقد بالتشديد مكى وبصرى أى هذا المصباح من شجرة أى ابتداء ثقوبه من زيت شجرة الزيتون يعنى رويت زبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع أو لأنها نبتت فى الأرض التى بورك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه السلام زيتونة بدل من شجرة نعتها لا شرقية ولا غربية أى منبتها الشام يعنى ليست من المشرق ولا من المغرب بل فى الوسط منهما وهو الشام

في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال (36) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار (37)

النور 37 - 35
وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس فى وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشى جميعا فهى شرقية وغربية يكاد زيتها دهنها يضئ ولو لم تمسسه نار وصف الزيت بالصفاء والوميض وأنه لتلألؤه يكاد يضئ من غير نار نور على نور أى هذا النور الذى شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوى النور وهذا لأن المصباح إذا كان فى مكان متضايق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل أعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وضرب المثل يكون بدنئ محسوس معهود لا بعلى غير معاين ولا مشهود فأيوتمام لما قال فى المأمون ... إقدام عمرو فى سماحة حاتم ... فى حلم أحنف فى ذكاء

... اياس
قيل له إن الخليفة فرق من مثلته بهم فقال مرتجلا ... لا تنكروا
... ضربى من دونه ... مثلا شرودا فى الندى والباس
... فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس ...
يهدى الله لنوره أى لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده أى يوفق لاصابة الحق من يشاء من عباده بالهام من الله أو ينظره فى الدليل ويضرب الله الامثال للناس تقريبا إلى افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا والله بكل شئ عليم فيبين كل شئ بما يمكن أن يعلم به وقال ابن عباس رضى الله عنه مثل نوره أى نور الله الذى هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رحمه الله مثل نوره فى قلب المؤمن كمشكاة وقرأ أبى مثل نور المؤمن فى بيوت يتعلق بمشكاة أى كمشكاة فى بعض بيوت الله وهى المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى فى المسجد له رجال فى بيوت وفيها تكرير فيه توكيد نحو زيد فى الدار جالس فيها أو بمحذوف أى سبحوا فى بيوت أذن الله أى أمر أن ترفع تبنى كقوله بناها رفع سمكها فسواها وإذ يرفع إبراهيم القواعد أو تعظم من الرفعة وعن الحسن ما أمر الله أن نرفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه يتلى فيها كتابه أو هو عام فى كل ذكر يسبح له فيها بالغدو والآصال أى يصلى له فيها بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين وإنما وحد الغدو لأن صلاته صلاته صلاة واحدة وفى الآصال صلوات والآصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشى رجال فاعل يسبح يسبح شامى وأبو بكر ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع بمادل عليه يسبح أى يسبح له لا تلهيهم

ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب (38) والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب (39)

النور 39 - 37
لا تشغلهم تجارة فى السفر ولا بيع فى الحضر وقيل التجارة الشراء اطلاقا لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعد ماعم لأنه أو غل فى

الالهاء من الشراء لأن الربح فى البيعة الرابحة متيقن وفى الشراء مظنون عن ذكر الله باللسان والقلب وإقام الصلوة أى عن إقامة الصلاة التاء فى إقامة عوض من العين الساقطة للأعلال الأصل أقوام فلما قلبت الواو ألفا اجتمع ألفان فحذفت أحدهما لالتقاء الساكنين فأدخلت التاء عوضا عن المحذوف فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام التاء فاسقطت وإيتاء الزكوة أى وعن إيتاء الزكاة والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كأولياء العزلة أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك وإذا حضرت الصلاة قاموا إليها غير متثاقلين كأولياء العشرة يخافون يوما أي يوم القيامة ويخافون حال من الضمير في تلهيهم أو صفة أخرى لرجال تتقلب فيه القلوب ببلوغها إلى الجناجر والأبصار بالشخوص والزرقة أو تتقلب القلوب إلى الإيمان بعد الكفران والأبصار إلى العيان بعد إنكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ليجزيكم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله أى يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أى ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا والله يرزق من يشاء بغير حساب أى يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل فى حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه فالمذكورون فى قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب هو مايرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجرى بقيعة بقاع أو جمع قاع وهوالمنبسط المستوى من الأرض كجيرة فى جار يحسبه الظمآن يظنه العطشان ماء حتى إذا جاءه أى جاء إلى ماتوهم أنه ماء لم يجده شيئا كما ظنه ووجده الله أى جزاء الله كقوله يجد الله غفورا رحيما أى يجد مغفرته ورحمته عنده عند الكافر فوفاه حسابه أى أعطاه جزاء عمله وافيا كاملا وحد بعد الجمع حملا على كل واحد من الكفار والله سريع الحساب لأنه لا يحتاج إلى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب أو قريب حسابه لأن ما هو آت قريب شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه عندالله وتنجيه من عذابه ثم يخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة

أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم

يجعل الله له نورا فما له من نور (40) ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون (41) ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير (42) ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار (43)

النور 43 - 40
وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتمسا للدين فى الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر أو كظلمات فى بحر أو هنا كأوفى أو كصيب لجى عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر يغشاه يغشى البحر أو من فيه أى يعلوه ويغطيه موج هوما ارتفع من الماء من فوقه موج أى من فوق الموج وظلمة السحاب على الموج إذا أخرج يده أى الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة فى لم يرها أى لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها شبه أعمالهم أولا فى فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتليه إلى النار وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البخر والأمواج والسحاب ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج فى الحديث خلق الله الخلق ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ألم تر ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان فى الإيقان أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير عطف على من صافات حال من الطير أى يصففن أجنحتهن فى الهواء كل قد علم صلاته وتسبيحه الضمير فى علم لكل أو الله وكذا فى صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التى لا يكاد العقلاء يهتدون إليها والله عليم بما يفعلون لا يعزب عن علمه شئ ولله ملك السموات والأرض

لأنه خالقها ومن ملك شيئا فبتمليكه اياه و إلى الله المصير مرجع الكل ألم تر أن الله يزجى يسوق إلى حيث يريد سحابا جمع سحابة دليله ثم يؤلف بينه وتذكيره للفظ أى يضم بعضه إلى بعض ثم يجعله ركاما مترا كما بعضه فوق بعض

يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار (44) والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير (45)

النور 45 - 43
فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال وينزل وينزل مكى ومدنى وبصرى من السماء لابتداء الغايةلأن الابتداء الانزال من السماء من جبال من للتبعيض لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التى فيها فى السماء من برد للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الأول مفعول ينزل من جبال أى بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد أن يخلق الله فى السماء جبال برد كما خلق فى الأرض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب فيصيب به بالبرد من يشاء أى يصيب الإنسان وزرعه ويصرفه عمن يشاء فلا يصيبه أو يعذب من يشاء ويصرفه عمن يشاء فال يعذبه يكاد سنا برقه ضوئه يذهب بالأبصار يخطفها يذهب يزيد على زيادة الباء يقلبالله الليل والنهار يصرفها فى الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب ان فى ذلك فى إزجاء السحاب إلىوإنزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار لعبرة لأولى الأبصار لذوى العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من فى السموات والارض وما يطير بينهما ودعاء هم له وتسخير السحاب إلى آخر ما ذكر فهى براهين لائحة على وجوده دلائل واضحة على صفاته لم نظر وتدبير ثم بين دليلا آخر فقال تعالى والله خلق كل خالق كل حمزة وعلى دابة كل حيوان يدب على وجه الارض من ماء أى من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أومن ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات منالنطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها أناسى وهو

كقوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل وهذا دليل على أن لها خالقا ومدبرا والالم نختلف لاتفاق الأصل وإنماعرف الماء فى قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى لأن المقصود ثم ان أجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وأنه هو الأصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا ان أول ما خلق الله الماء فخلق من النار والريح والطين فخلق من النارالجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الأرض ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ماراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم من يمشى على بطنه كالحية والحوت وسمى الزحف على البطن مشيا استعارة كما يقال فى الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر أو على طرائق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين ومنهم من يمشى على رجلين كالإنسان

لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (46) ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (47) وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون (48) وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين (49) أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون (50)

النور 50 - 45
والطير ومنهم من يمشى على أربع كالبهائم وقدم ما هوأعرق فى القدرة وهو الماشى بغير آلة مشى من أرجل أو غيرها ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع يخلق الله ما يشاء كيف يشاء إن الله على كل شئ قدير لا يتعذر عليه شئ لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشائ بلطفه ومشيئته إلى صراط مستقيم إلى دين الإسلام الذى يوصل إلى جنته والآيات لإلزام حجته لما ذكر إنزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس إلى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب وبدأ بالمنافقين فقال ويقولون آمنا بالله وبالرسول بألسنتهم وأطعنا الله والرسول ثميتولى يعرض على الإنقياد لحكم الله ورسوله

فريق منهم من بعد ذلك أى من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا وما أولئك بالمؤمنين أى المخلصين وهو إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا لا إلى الفرق المتولى وحده وفيه اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الإيمان لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء والاعتراض وإن كان من بعضهم فالرضا بالاعراض من كلهم وإذا دعوا إلى الله ورسوله أى إلى رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه تريد زيد وكرمه تريد كرم زيد ليحكم الرسول بينهم إذا فريق منهم معرضون أى فاجأ من فريق منهم الاعراض نزلت فى بشر المنافق إلى كعب بن الأشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وإن يكن لهم الحق أي إذا كان الحق لهم على غيرهم ياتوا إليه إلى الرسول مذعنين حال أى مسرعين فى الطاعة طلبا لحقهم لارضا بحكم رسولهم قال الزجاج الإذعان الإسراع مع الطاعة والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحث يمتنعون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهن بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت له حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم فى ذمة الخصم أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن

إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون (51) ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون (52) وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون (53)

النور 53 - 50
يحيف الله عليهم ورسوله قسم الأمر فى صدورهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين فى أمر نبوته أو خائفين الحيف فى قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله بل أولئك هم الظالمون أى يخافون أو يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام قمن ثم يأبون المحاكمة إليه إنما كان قول المؤمنين وعن الحسن قول بالرفع والنصب أفرى لأن أولى الاسمين بكونه إسما لكان أوعليهما فى

التعريف وأن يقولوا أوغل بخلاف قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم النبى عليه الصلاة والسلام ليحكم أى ليفعل الحكم بينهم بحكم الله الذى أنزل عليه أن يقولوا سمعنا قوله وأطعنا أمره وأولئك هم المفلحون الفائزون ومن يطع الله فى فرائضه ورسوله فى سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فأولئك هم الفائزون وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهى جامعة لأسباب الفوز ويتقه بسكون الهاء أبو عمرو وأبو بكر بنيةالوقف وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلسة حفص وبكسر القاف والهاء غيرهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم أى حلف المنافقون بالله جهد اليمين لأنهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين اقسم بجهد اليمين جهدا فجذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا إلى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين ايمانهم لئن أمرتهم ليخرجن أى لئن أمرنا محمد بالخروج إلى الغزو لغزونا أو بالخروج من ديارنا لخرجنا قل لا تقسموا لا تحلفوا كاذبين لأنه معصية طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف أىالذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها إن الله خبير بما تعملون يعلم ما فى ضمائركم ولا يخفى عليه شئ من سرائركم وانه

قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين (54) وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (55)

فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريق الإلتفات هو أبلغ فى تبكيتهم فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقى بالقبول والاذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وإن تطيعوه تهتدوا أى وإن اطعتموه فيما يأمركم وينهاكم فقد احرزتم نصيبكم من الهدى فالضرر فى توليكم والنفع عائدان إليكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين وما على الرسول إلا أن يبلغ ماله نفع فى قلوبكم ولا عليه ضرر فى توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام ولمن معه منكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعيض ليستخلفنهم فى الأرض أى أرض الكفار وقيل أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح أنه عام لقوله عليه الصلاة والسلام ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل كما استخلف استخلف أبوبكر الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم وليبدلنهم بالتخفيف مكى وأبو بكر من بعد خوفهم أمنا وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببنى إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة وأن يميز الدين المرتضى وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيته وتعضيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر ينين خائفين ولما ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون فى ليستخلفنهم محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون (56) لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير (57) يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (58)

النور 58 - 55
ليستخلفنهم أو نزل وعد الله فى تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه أقسم الله ليستخلفنهم يعبدوننى ان جعلته استئنافا فلا محل له كأنه قيل ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى موحدين ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الأولى وإن جعلته حالا عن وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم فمحله النصب لا يشركون بى شيئا حال من فاعل يعبدون أى يعبدوننى موحدين ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الأولى ومن كفر بعد ذلك أي بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بأنعم الله فأولئك هم الفاسقون هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها قالوا أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضى الله عنه فاقتتلوا بعدما كانوا إخوانا وزال عنهم الخوف والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم وأقيموا الصلوة معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وإن طال وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول فيما يدعوكم إليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها لعلكم ترحمون أى لكى ترحموا فإنها من مستجلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض أى فائنين الله بأن لا يقدر عليهم فيها فالتاء خطاب للنبى عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا ومعجزين بالياء شامى وحمزة والفاعل النبى صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان الذين كفروا ومعجزين ومأواهم النار معطوف على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار ولبئس المصير أي المرجع النار يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمربأن يستأذن العبيد

والاماء والذين لم يبلغوا الحلم منكم أى الأطفال الذين لم يحتملوا من الأحرار وقرئ بسكون اللام تخفيفا ثلاث مرات فى اليوم والليلة وهى من قبل صلوة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة وهى نصف النهار فى القيظ لأنها وقت وضع الثياب للقيلولة ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقضة والالتحاف بثياب النوم

وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم (59)

النور 59 - 58
ثلاث عورات لكم أى هى أوقات ثلاث عورات فحذف المبتدأ والمضاف وبالنصب كوفى غير حفص بدلا من ثلاث مرات أى أوقات ثلاث عورات وسمى كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الإنسان يختل تستره فيها والعورة الخلل ومنها الأعور المختل العين دخل غلام من الأنصار يقال له مدلج وددت أن الله نهى عن الدخول فى هذه الساعات إلا بالإذن فانطلق إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية ثم عذرهم فى ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن أى لا اثم عليكم وعلى المذكورين فى الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة فى ترك الاستئذان فى هذه الأوقات بقوله طوافون عليكم أى هم طوافون بحوائج البيت بعضكم مبتدأ خبره على بعض وتقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الجملة بدلا من التى قبلها وأن تكون مبينة مؤكدة يعنى أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستئذان فى كل وقت لأفضى إلى الحرج وهو مدفوع فى الشرع بالنص كذلك يبين الله لكم الآيات أى كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التى احتجتم إلى بيانها والله عليم بمصالح عباده حكيم فى بيان مراده وإذا بلغ الأطفال منكم أى الأحرار دون المماليك الحلم أىالاحتلام أى إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم فليستأذنوا فى جميع الأوقات كما استأذن الذين من قبلهم أى

الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا الآية والمعنى أن الأطفال مأذون لهم فى الدخول بغير إذن إلا فى العورات الثلاث فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن وجب أن يفطموا عن تلك العادة وتحملوا على أن يستأذنوا فى جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن والناس عن هذا غافلون وعن ابن عباس رضى الله عنه ثلاث آيات جحدهن الناس الإذن كله وقوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم وإذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبير يقولون هى منسوخة والله ما هى بمنسوخة وقوله كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم فيما تبين من الأحكام حكيم بمصالح الأنام والقواعد جمع قاعد لأنها من الصفات المختصة بالنساء كالطالق والحائض

والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم (60) ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون (61)

النور 61 - 60
أى اللاتى قعدن عن الحيض والولد لكبرهن من النساء حال اللاتى لا يرجون نكاحا يطعمن فيه وهى فى محل الرفع صفة للمبتدا وهى القواعد والخبر فليس عليهن جناح اثم ودخلت الفاء لما فى المبتدأ من معنى الشرط بسبب الالف واللام أن يضعن فى أن يضعن ثيابهن أى الظاهرة كالملحفة والجلباب الذى فوق الخمار غير حال متبرجات بزينة أى غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أى لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه وأن يستعففن أى يطلبن

العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدا خبره خير لهن والله سميع لما يعلن عليم بما يقصدن ليس على الأعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج قال سعيد ابن المسيب كان المسلمون إذا خرجوا إلى الغزوة مع النبى صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند اقاربهم ويأتونهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا بتحرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم ولا على أنفسهم أ بحرج أن تأكلوا من بيوتكم أى بيوت أولادكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الأولاد فى الآية وقد قال عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك أو بيوت أزواجكم لأن الزوجين صارا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم لأن الاذن من هؤلاء ثابت دلالة أو ما ملكتم مفاتحه جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق قال ابن عباس رضى الله عنه هو وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وما شيته له أن ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن من ماشيته أريد بملك المفاتيح كونها فى يده وحفظه وقيل أريد به بيت عبده لأن العبدو ما فى يده لمولاه أو صديقكم يعنى أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحد أو جمعا وهو من يصدقك مودته وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاها

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم (62)

النور 62 - 61
فاخبرته اعتقها سرور بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يأكل الا باذن ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا مجتمعين أو أشتاتا متفرقين جمع شت نزلت فى بنى ليث بن عمرو وكانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظر انهاره إلى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة أو فى قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا

يأكلون الا مع ضيفهم أو تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف اناس فى الأكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيتا من هذه البيوت لتأكلوا فسلموا على أنفسكم اى فابدءوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة أو بيوتا فارغة أو مسجد فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية نصب بسلموا لانها فى معنى تسليما نحو قعدت جلوسا من عندالله أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أو لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله مباركه طيبة وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون لكى تعقلوا أو تفهموا انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله و إذا كانوا معه على أمر جامع أى الذى يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير فى الحرب وكل اجتماع فى الله حتى الجمعة والعيدين لم يذهبوا حتى يستأذنوه أى ويأذن لهم ولما أراد الله عز وجل أن يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه إذا كانوا معه على أمر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بأنما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالصداق لصحة الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسالهم لو اذا فاذا استأذنوك في الانصراف لبعض شأنهم امرهم فائذن لمن شئت منهم فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الافضل أن لا يستأذن قالوا وينبغى أن يكون الناس

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (63) ألا إن لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم (64)

النور 64 - 62
كذلك مع أئمتهم مقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يفرقون عنهم إلا باذن قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون إلى منازلهم من غير استئذان لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اى إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تقربوا منه إلا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعى أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا وينابيه باسمه الذى سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبى الله يا رسول الله مع التوفير والتعظيم والصوت المخفوض قد يعلم الله الذين يتسللون يخرجون قليلا قليلا منكم لو اذا حال أى ملاوذين اللواذ والملاوذة هو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا أى ينسلون عن الجماعة فى الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض فليحذر الذين يخالفون عن أمره أى الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال له خالفه إلى الامر إذا ذهب إليه دونه ومنه وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنها كم عنه وخالفه عن الامر إذا صد عنه دونه والضمير فى أمر الله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول يحذر أن تصيبهم فتنة محنة فى الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو إسباغ النعم استدراجا أو يصيبهم عذاب أليم فى الآخرة والآية تدل على أن الأمر للايجاب ألا إن لله ما فى السموات والأرض ألا تنبيه على أن لا يخالفوا أمر من له ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد والمعنى أن جميع ما فى السموات والارض مختص به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون فى سترها ويوم يرجعون إليه وبفتح الباء وكسر الجيم يعقوب أى ويعلم يوم يردون إلى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة فى قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون إليه يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين فينبئهم يوم القيامة بما عملوا بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حق جزائهم والله بكل شئ عليم فلا يخفى عليه خافية وروى أن ابن عباس رضى الله عنه قرأ سورة النور على المنبر فى

الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لا سلمت والله أعلم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا (1) الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا (2) واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا (3)

الفرقان 3 - 1
بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك تفاعل من البركة وهى كثرة الخبر وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خبره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وهي كلمة كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضى فحسب الذى نزل الفرقان هو مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام أو لانه لم ينزل جملة ولكن مفرقا مفصولا بين بعضه وبعض فى الانزال ألا ترى إلى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا على عبده محمد عليه الصلاة والسلام ليكون العبد أو الفرقان للعالمين للجن والانس وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام نذيرا منذرا أى مخوفا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر الذى رفع علبانه خبر مبتدأ محذوف او على الابدال من الذى نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون لان المبدل صلته نزل وليكون تعليل له فكأنه المبدل منه لم يتم الا به أو نصب على المدح له ملك السموات والأرض على الخلوص ولم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى فى عزير والمسيح عليهما السلام ولم يكن له شريك فى الملك كما زعمت الثنوية وخلق كل شئ أى أحدث كل شئ وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهر من ولا شبهة فيه لمن يقول ان الله شئ ويقول بخلق القرآن لأن الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له على أن لفظ شئ اختص بما يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذا أوضح دليل لنا على المعتزلة فى خلق افعال العباد فقدره تقديرا فهيأه لما يصلح له بلا خلل فيه كما أنه الانسان

على هذا الشكل الذى تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به فى الدين والدنيا أوقدره للبقاء إلى أمد معلوم واتخذوا الضمير للكافرين لا ندراجهم تحت العالمين أو لدلالة نذيرا عليهم لانهم المنذرون من دونه آلهة أى الاصنام لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أى انهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالألوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة لا يقدرون على خلق شئ وهم يخلقون ولا يملكون

وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلما وزورا (4) وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا (5) قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما (6) وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا (7) أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا (8)

الفرقان 8 - 3
لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع إليها ولا يملكون موتا إماتة ولا حياة أى إحياء ولا نشورا إحياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها وقال الذين كفروا إن هذا ما هذا القرآن إلا إفك كذب إفتراه اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه وأعانه عليه قوم آخرون أى اليهود وعداس ويسار وأبو فكيهة الرومى قاله النضر بن الحرث فقد جاءو ظلما وزورا هذا اخبار من الله رد للكفرة فيرجع الضمير إلى الكفار وجاء يستعمل فى معنى فعل فيعدى تعديتها أو حذف الجار وأوصل الفعل أى بظلم وزور وظلمهم أن جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور أن بهتوه بنسبة ما هو برئ منه إليه وقالوا أساطير الأولين أو هو أحاديث المتقدمين وما سطروه كرستم وغيره جمع أسطار وأسطورة كأحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه فهى تملى عليه أى تلقى عليه من كتابه بكرة أول النهار وأصيلا آخره فيحفظ ما يملى عليه ثم يتلوه علينا قل يا محمد أنزله أى القرآن الذى يعلم السر فى السموات والأرض أى يعلم كل سر خفى فى السموات والأرض يعنى أن القرآن لما اشتمل على علم

الغيوب التى يستحيل عادة أن يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على أنه من عند علام الغيوب إنه كان غفورا رحيما فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وإن استوجبوها بمكابرتهم وقالوا مال هذا الرسول وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير وتسميتهم إياه بالرسول سخرية منهم كانهم قالوا اى شئ لهذا الزاعم أنه رسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق حال والعامل فيها هذا لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة ياكل مها أى إن صح أنه رسول الله فما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد فى الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح إلى أن يكون إنسانا معه ملك حتى بتساندا فى الإنذار والتخويف ثم نزلوا إلى أن يكون مرفودا بكنز يلقى إليه

انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا (9) تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا (10) بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا (11) إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا (12) وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (13)

الفرقان 113 - 8
من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ثم نزلوا إلى أن يكون رجلاله بستان يأكل هو منه كالمياسير أو نأكل نحن كقراءة على وحمزة وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتكون على أنزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام وأراد بالظالمين فى قوله وقال الظالمون إياهم بأعيانهم غير أنه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش إن تتبعون إلا رجلا مسحورا سحر فجن أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك انظر كيف ضربوا بينوا لك الأمثال الأشباه أى قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك الصفات والأحوال من المفترى

والمملى عليه والمسحور فضلوا عن الحق فلا يستطعون سبيلا فلا يجدون طريقا إليه تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا أى تكاثر خير الذى إن شاء وهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك فى الآخرة من الجنات والقصور وجنات بدل من خيرا ويجعل بالرفع مكى وشامى وأبو بكر لأن الشرط إذا وقع ماضيا زفى جزائه الجزم والرفع بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أو متصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك فى الآخرة وهم لا يؤمنون بها وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وهيأنا للمكذبين بها نارا شديدة فى الاستعار إذا رأتهم أى النار أى قابلتهم من مكان بعيد أى إذا كانت منهم يمر أى الناظرين فى البعد سمعوا لها تغيظا وزفيرا أى سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر أو إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وإذا ألقوا منها من النار مكانا ضيقا مكى فإن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذا وصفت الجنة بأن عرضها السموات والأرض وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح مقرنين أى وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون فى السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم فى الأغلال أو يقرن مع كل كافر شيطانه فى سلسلة وفى أرجلهم الأصفاد دعوا هنالك حينئذ ثبورا هلاكا أى قالوا أو اثبوراه

لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا (14) قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا (15) لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا (16) ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل (17) قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا (18)

الفرقان 18 - 15
أى تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا

وادعوا ثبورا كثيرا أى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا إنما هو ثبور كثير قل أذلك خير أى المذكور من صفة النار خير أم جنة الخلد التى وعد المنقون أى وعدها فالراجع إلى الموصول محذوف وإنما قال أذلك خير فى النار توبيخا للكفار كانت لهم جزاء ثوابا ومصيرا مرجعا وإنما قيل كانت لأن ما وعد الله كأنه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوبا فى اللوح قبل أن خلقهم لهم فيها ما يشاءون أى ما يشاءونه خالدين حال من الضمير فى يشاءون والضمير فى كان لما يشاءون على ربك وعدا أى موعودا مسئولا مطلوبا أو حقيقا أن يسأل أو قد سأله المؤمنون والملائكة فى دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ويوم نحشرهم للبعث عند الجمهور وبالياء مكة ويزيد ويعقوب وحفص وما يعبدون من دون الله يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزيز وعن الكلبى يعنى الأصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم فيقول وبالنون شامى أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل والقياس ضلوا عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه فى هذا الطريق والأصل إلى الطريق أو للطريق وضل مطاوع أضله والمعنى أأنتم أو قعتموهم فى الضلال عن طريق الحق بادخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وانما لم يقل أأضللتم عبادى هؤلاء أم ضلوا السبيل وزد أنتم وهم لأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام ليعلم أنه المسئول عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسئول عنه أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فنزيد حسرتهم قالوا سبحانك تعجب منهم مما قيل لهم وقصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له نبى أو ملك أو غيرهما ندا ثم قالوا ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء أى ما كان يصح لنا ولا يستقيم أن نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك نتخذ يزيد واتخذ يتعدى إلى مفعول واحد نحو اتخذ وليا و إلى مفعولين نحو اتخذنا فلانا وليا قال

فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا (19) وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة

أتصبرون وكان ربك بصيرا (20)

الفرقان 20 - 18
الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدى لواحد وهو من أولياء والأصل أن نتخذ أولياء وزيدت من لتأكيد معنى النفى والقراءة الثانية من المتعدى إلى المفعولين فالمفعول الأول ما بنى له الفعل والثانى من أولياء ومن للتبعيض أى لا نتخذ بعض أولياء لأن من لا تزاد فى المفعول الثانى بل فى الأول تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت احدا من ولى ولكن متعتهم وءاباءهم بالأموال والأولاد وطول العمر والسلامة من العذاب حتى نسوا الذكر أى ذكر الله والإيمان به والقرآن والشرائع وكانوا عند الله قوما بورا أى هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة فقد كذبوكم وهذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونظيرها يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل إلى قوله فقد جاءكم بشير ونذير قول القائل ... قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم ... القفول قد جئنا خراسانا ...
بما تقولون بقولكم فيهم انهم آلهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور يدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم فما يستطيعون صرفا ولا نصرا أى قما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم وبالتاء حفص أى فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله ومن يظلم منكم أى يشرك لأن الظلم وضع الشئ فى غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم نذقه عذابا كبيرا فسر بالخلود فى النار وهو يليق بالمشرك دون الفاسق الأعلى قول المعتزلة والخوارج وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق كسرت إن لاجل اللام فى الخبر والجملة بعد إلا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وإنما حذف اكتفاء بالجار

والمجرور أى من المرسلين ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم أى وما منا أحد قيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق وتسلية للنبى عليه الصلاة والسلام وجعلنا بعضكم

وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا (21) يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا (22) وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (23)

الفرقان 23 - 20
لبعض فتنة أى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيه فى الأسواق يعنى أنه جعل الاغنياء فتنة للفقراء فيغنى من يشاء ويفقر من يشاء أتصبرون على هذه الفتنة فتؤجروا أم لا تصبرون فيزداد غمكم وحكى ان بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا افرأى خصيا فى مواكب ومراكب فخطر بباله شئ فإذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصبرا ربنا أو جعلتك فتنة لهم لانك لو كنت غينا صاحب كنوز وجنان لكانت طاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعى من يطيعك خالصة لنا وكان ربكم بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلى به أو بمن يصبر ويجزع وقال الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخبر لأنهم كفرة لا يؤمنون بالبعث أو لا يخافون عقابنا اما لان الراجى قلق فيما يرجوه كالخائف أو لان الرجاء فى لغة تهامة الخوف لولا هلا أنزل علينا الملائكة رسلا دون البشر أو شهودا على نبوته ودعوى رسالته أو نرى ربنا جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه لقد استكبروا فى أنفسهم أى أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم وعتوا وتجاوزوا الحد فى الظلم عتوا كبيرا وصف العتو بالكبر فبالغ فى افراطه أى أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا انهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام فى لقد جواب قسم محذوف يوم يرون الملائكة أى يوم الموت أو يوم البعث ويوم منصوب بمادل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى وقوله يومئذ مؤكد ليوم يرون أو باضمار اذكر أى اذكر يوم يرن الملائكة ثم أخبر فقال لا

بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بيرون لان المضاف إليه لا يعمل فى المضاف ولا ببشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفى بلا لا يعمل فيما قبل لا للمجرمين ظاهر فى موضع ضمير أو عام يتناولهم بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لأن مطلق الاسماء يتناول أكمل المسميات ويقولون أى الملائكة حجرا محجورا حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله ذلك حراما عليكم انما البشرى للمؤمنين والحجر مصدروالكسر والفتح لغتان وقرئ بهما وهو من حجره إذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بأفعال متروك إظهارها ومحجور التأكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت وقدمنا إلى ما عملوا من

أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا (24) ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (25) الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا (26) ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا (27) يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا (28)

الفرقان 27 - 23
عمل فجعلناه هباء منثورا هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم إلى أشيائه وقصد إلى ما تحت يديه فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثر او الهباء ما يخرج من الكوة مغ ضوء الشمس شبيها بالغار والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل أهل الجنة على اهل النار فقال أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا تمييز المستقر المكان الذى يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحادثون وأحسن مقيلا مكانا يأوون اليه للاسترواح إلى أزواجهم ولا نوم فى الجنة ولكنه سمى مكان استراحتهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه وروى أنه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وفى لفظ الا حسن تهكم بهم ويوم واذكر يوم تشقق السماء والأصل تتشقق فحذف التاء كوفى وأبو عمرو وغيرهم أدغمها فى

الشين بالغمام لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذى تشقق به السماء كما تقول شققت السنام بالشفرة فانشق بها ونزل الملائكة تنزيلا ونزل الملائكة مكى وتنزيلا على هذا مصدر من غير لفظ العقل والمعنى أن السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون فى أيديهم صحائف أعمالهم العباد الملك مبتدأ يومئذ ظرفه الحق نعته ومعناه الثابت لان كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى الا ملكه للرحمن خبره وكان ذلك اليوم يوما على الكافرين عسيرا شديدا يقال عسر عليه فهو عسير وعسر ويفهم منه يسره على المؤمنين ففى الحديث يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها فى الدنيا ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة مالا يجده عند لفظ المكنى عنه واللام فى الظالم للعهد وأريد به عقبة لما تبين أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار يقول يا ليتنى اتخذت فى الدنيا مع الرسول محمد عليه الصلاة والسلام سبيلا طريقا إلى النجاى والجنة وهو الايمان يا ويلتا وقرئ يا ويلتى بالياء وهو الأصل لان الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى

لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا (29) وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا (30) وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا (31) وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا (32)

الفرقان 32 - 28
فهذا أوانك وإنما قلبت الياء ألفا كما فى صحارى ومدارى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا فلان كناية عن الاعلام فان اريد بالظالم عقبة لما روى أنه اتخذ ضيافة فدعا رسول الله عليه الصلاة والسلام فابى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبى بن خلف وهو خليله وجهى من وجهك حرام الا أن ترجع فارتد فالمعنى يا ليتنى لم أتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من

المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعل كناية عنه وقيل وهو كناية عن الشيطان لقد أضلنى عن الذكر أى عن ذكر الله أو القرآن أو الايمان بعد اذ جاءنى من الله وكان الشيطان أى خليله سماه شيطانا لأنه أضله كما يضله الشيطان أو إبليس لأنه الذى حمله على مخالفة المضل ومخالفة الرسول للانسان المطيع له خذولا هو مبالغة من الخذلان إى محمد من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم وقال الرسول أى عليه الصلاة والسلام فى الدنيا يا رب إن قومى قريشا اخذوا هذا القرآن مهجورا متروكا أى تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لا تخذوا وفى هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم أقبل عليه مسليا ووعده النصرة عليهم فقال كذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا أى كذلك كان كل نبى قبلك مبتلى مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم والعدو يجوز أن يكون واحدا وجميعا والباء زائدة اى وكفى ربك هاديا وهو تمييز وقال الذين كفروا أى قريش أو اليهود لولا نزل عليه القرآن جملة حال من القرآن أى مجتمعا واحدة يعنى هلا أنزل عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق وهو فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لأن أمر الاعجاز الاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقا ونزل هنا بمعنى أنزل وإلا لكان متدافعا بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لأنهم تحدوا بالاتيان بسورة واحدة من أصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم حتى لا ذوا بالمناصبة وفرعوا إلى المحاربة وبذلوا المهج ومالوا إلى الحجج كذلك جواب لهم أى كذلك أنزل مفرقا فى عشرين سنة أو فى ثلاث وعشرين وذلك فى كذلك اشارة إلى مدلول قوله لولا نزل عليه القرآن جملة لأن معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقا

ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (33) الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا (34) ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا (35)

الفرقان 35 - 32

فاعلم ان ذلك لنثبت به بتفريقه فؤادك حتى تعيه ونحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شئ وجزا ولو ألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه أو لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول لأن قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب ورتلناه ترتيلا معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه أى اقرأه بترسل وتثبت أو بيناه تبيينا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت ولا يأتونك بمثل بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل فى البطلان الاجئناك بالحق إلا أتيناك بالجواب الحق الذى لا مجيد عنه وأحسن تفسيرا وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أى من سؤالهم وإنما حذف من مثلهم لأن فى الكلام دليلا عليه كما لو قلت رأيت زيدا وعمرا وإن كان عمرو أحسن وجها فيه دليل على انك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا أنزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك فى حكمتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعنى أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شئ منها أدخل فى الاعجاز من أن ينزل كله جملة الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر الذين مبتدأ ثان وشر خبر أولئك وأولئك مع شر خبر الذين أو التقدير هم الذين أو أعنى الذين وأولئك مستأنف مكانا أى مكانة ومنزلة أو مسكنا ومنزلا وأضل سبيلا أى وأخطأ طريقا وهو من الاسناد المجازى والمعنى أن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضلون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه ومنزلة سبيلكم أضل من سبيله وفى طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثورة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذى أمشاكم على أقدامكم يمشيهم على وجوههم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراه كما آتيناك القرآن وجعلنا معه أخاه هرون بدل أو عطف بيان وزيرا هو فى اللغة من يرجع إليه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لا تنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن

فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا (36) وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما (37) وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا (38) وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا (39) ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا (40)

الفرقان 40 - 36
الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يؤازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا إلى فرعون وقومه وتقديره فذهبا اليهم وانذرا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا التدمير الاهلاك بأمر عجيب أراد اختصار القصة فذكر اولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وقوم نوح أى ودمرنا قوم نوح لما كذبوا الرسل يعنى نوحا وادريس وشيئا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا اغراقهم أو قصتهم للناس آية عبرة يعتبرون بها واعتدنا وهيأنا للظالمين لقوم نوح وأصله واعتدنا لهم الا أنه أراد تظليمهم فاظهر أو هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه عذابا أليما أى النار وعادا دمرنا عادا وثمود حمزة وحفص على تأويل القبيلة وغيرهما وثمودا على تأويل الحى أو لأنه اسم الأب الأكبر وأصحاب الرس هم قوم شعيب كانوا يعبدون الأصنام فكذبوا شعيبا فبيناهم حول الرس وهى البئر غير مطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا أو هم أصحاب الأخدود والرس الأخدود وقرونا وأهلكنا أمما بين ذلك المذكور كثيرا لا يعلمها إلا الله أرسل اليهم فكذبوهم فاهلكوا وكلا ضربنا له الأمثال بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين وكلا تبرنا تتبيرا أى أهلكنا أهلاكا وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثانى بتبرنا لأنه فارغ له ولقد أتوا يعنى أهل مكة على القرية سدوم وهى أعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله أربعا مع أهلها وبقيت واحدة التى أمطرت مطر السوء أى أمطر الله عليها الحجارة يعنى ان قريشا مروا كثيرة فى متاجرهم إلى الشأم على تلك القرية التى

أهلكت بالحجارة من السماء ومطر السوء مفعول ثان والأصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أى امطار السوء أفلم يكونوا يرونها أما شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سفرهم الشام فيتفكروا فيؤمنوا بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يخافون بعثا فلا يؤمنون أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطعمهم فى الوصول إلى ثواب

وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا (41) إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا (42) أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (43) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (44)

الفرقان 44 - 41
أعمالهم وإذا رأوك إن يتخذونك ان نافية إلا هزوا اتخذه هزؤا فى معنى استهزأ به والأصل اتخذه موضع هزؤا ومهزوءا به أهذا الذى محكى بعد القول المضمر وهذا استصغار واستهزاء أى قائلين أهذا الذى بعث الله رسولا والمحذوف حال والعائد إلى الذى محذوف أى بعثه ان كاد ليضلنا عن ءالهتنا لولا ان صبرنا عليها ان مخففة من الثقيلة واللام فارغة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم ولستمساكهم بعبادة آلهتهم وسوف يعلمون حين يرون العذاب هو وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال من أضل سبيلا هو كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لأنه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الضلال اذ لا يضل غيره الا من هو ضال فى نفسه أرأيت من اتخذ الهه هواه أى من أطاع هواه فيما يأتى ويذر فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول الله تعالى لرسوله هذا الذى لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه إلى الهدى يروى أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فاذا مر بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثانى وعن الحسن هو فى كل متع هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أى حفيظا تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه أفأنت تكون عليه

موكلا فتصرفه عن الهوى إلى الهدى عرفه ان اليه التبليغ فقط أم تحسب كأن هذه المذمة أشد من التى تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لانهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التى هى مثل فى الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال ثم هم ارجح ضلالة منها لأن الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن اليها ممن يسئ اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى وقالوا للملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى مجمع الكل ابتلاء فان غلبته النفس والهوى فضلته الانعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وإنما

ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا (45) ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا (46) وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا (47) وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا (48)

الفرقان 48 - 45
ذكر الاكثر لأن فيهم من لم يصده عن الإسلام إلا حب الرياسة وكفى به داء عضالا ولأن فيهم من آمن ألم تر إلى ربك ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته كيف مد الظل أى بسطه فعم الأرض وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس فى قول الجمهور لأنه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة وهو كما قال فى ظل الجنة وظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة ولو شاء لجعله ساكنا أى دائما لا يزول ولا نذهبه الشمس ثم جعلنا الشمس عليه على الظل دليلا لأنه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالأشياء تعرف باضدادها ثم قبضناه أن أخذنا ذلك الظل الممدود الينا إلى حيث أردنا قبضا يسيرا سهلا غير عسير أو قليلا قليلا أى جزأ فجزأ بالشمس التى

تأتى عليه وجاء بثم لتفاضل ما بين الحوادث فى الوقت وهو الذى جعل لكم الليل لباسا جعل الظلام الساتر كاللباس والنوم سباتا راحة لأبدانكم وقطعا لأعمالكم والسبت القطع والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت المسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعضده ذكر النشور فى مقابلته وجعل النهار نشورا إذا لنشور انبعاث من النوم كنشور الميت أى ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوعظ كذلك تموت فتنشر وهو الذى أرسل الرياح الريح مكى والمراد الجنس بشرا تخفيف بشر جمع بشور بين يدى رحمته أى قدام المطر لأنه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة ملحية وأنزلنا من السماء ماء مطر طهورا بليغا فى طهارته والطهور صفة كقولك ماء طهور أى طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام إلا بطهور أى بطهارة وما حكى عن ثعلب هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ليطهركم به و إلا فليس فعول من التفعيل فى شئ وقياسه على ما هو مشتق من الافعال المعتدية كقطوع ومنوع غير سديد لأن بناء

لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا (49) ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا (50) ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا (51) فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا (52)

الفرقان 52 - 49
الفعول للمبالغة فان كان الفعل متعديا فالفعول متعدوان كان لازما فلازم لنحيى به بالمطر بلدة ميتا ذكر ميتا على إرادة البلد أو المكان ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا أى نسقى الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال من انعاما وأناسى أى انعاما وأناسى مما خلقنا وسقى وأسقى لغتان وقرأ المفضل والبرجمى ونسقيه

والاناسى جمع انسى على القياس ككرسى وكراسى وإنسان وأصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وأدغمت وقدم احياء الأرض على سقى الأنعام والاناسى لأن حياتها سبب لحياتهما وتخصيص الانعام من الحيوان الشارب لأن عامة منافع الاناسى متعلقة بها فكأن الانعام عليهم بسقى الانعام كالأنعام بسقيهم وتنكير البلدة لأنه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين على مظان الماء ولما كان سقى الاناسى من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهورية شرط الاحياء ولقد صرفناه بينهم ليذكروا ليذكروا حمزة وعلى يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر إنشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا فابى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الا كتراث لها أو صرفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فابوا إلا الكفور وأن يقولوا مطر نابنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام لأنه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب فى تنكير البلدة والانعام والاناسى ومن نسب الأمطار إلى الانواء وجحد أن تكون هى والانواء من خلق الله تعالى كفروان رأى أن الله تعالى خالقها وقد نصب الانواء أمارات ودلالات عليها لم يكفر ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا نطع الكافرين أى لو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا فى كل قرية نبيا ينذؤها ولكن شئنا أن نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة إلى كافة العالمين فقصرنا الأمر عليك وعظمناك به فتكون وحدك ككلهم ولذا خوطب بالجمع يا أيها الرسل فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشدد ولا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وكما آثرتك على

وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا (53) وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا (54) ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا (55) وما أرسلناك

إلا مبشرا ونذيرا (56) قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا (57)

الفرقان 57 - 52
جميع الأنبياء فآثر رضائى على جميع الأهواء وأريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم وجاهدهم به أى بالله يعنى بعونه وتوفيقه أو بالقرآن أى جادلهم به وقرعهم بالعجز عنه جهادا كبيرا عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق ويجوز أن يرجع الضمير فى به إلى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث فى كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو الذى مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين تقول مرجت الدابة إذا خليتها ترعى وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين هذا أى أحدهما عذب فرات صفة لعذب أى شديد العذوبة حتى يقرب إلى الحلاوة وهذا ملح أجاج صفة لملح أى شديد الملوحة وجعل بينهما برزخا حائلا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج فهما فى الظاهر مختلفان وفى الحقيقة منفصلان وحجرا محجورا وسترا ممنوعا عن الأعين كقوله حجابا مستورا وهو الذى خلق من الماء أى النطفة بشرا إنسانا فجعله نسبا وصهرا أراد تقسيم البشر قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أى إناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى وقيل فجعله نسبا أى قرابة وصهرا مصاهرة يعنى الوصلة بالنكاح من باب الانساب لأن التواصل يقع بها وبالمصاهرة لأن التوالد يكون بهما ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم إن عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه على معصية ربه ظهيرا معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والظهير والمظاهر كالعوين والمعاون والمظاهرة المعاونة والمعنى أن الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الرحمن وما أرسلناك إلا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل ما أسئلكم عليه على التبليغ من أجر جعل إلا من شاء ان يتخذ إلى ربه سبيلا والمراد الافعل من شاء واستثناؤه من الأجر قول ذى شفقه

وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا (58) الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا (59) وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا (60)

الفرقان 59 - 58
عليك قد سعى لك فى تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب كأنه يقول إن حفظت مالك اعتد حفظك بمنزلة الثواب لى ورضائى به كرضا المثاب بالثواب ولعمرى أنه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدد ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا تقربهم إليه بالإيمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة وقيل المراد ولكن من شاء أن يتخذ بالإنفاق إلى رضاء ربه سبيلا فليفعل وقيل تقديره لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرا إلا اتخاذ المدعو سبيلا إلى ربه بطاعته فذلك أجزى لأن الله يأجرنى عليه وتوكل على الحى الذى لا يموت اتخذ من لا يموت وكيلا لا يكلك إلى من يموت ذليلا يعنى ثق به واسند أمرك إليه فى استكفاء شرورهم ولا تتكل على حى يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق والتوكل والاعتماد عليه فى كل أمر وسبح عن أن يكل إلى غيره من توكل عليه بحمده بتوفيقه الذى يوجب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده أو نزهه عن كل العيوب بالثناء عليه وكفى به بذنوب عباده خبيرا أى كفى الله خبيرا بذنوب عباده يعنى أنه خبير بأحوالهم كاف فى جزاء أعمالهم الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام أى فى مدة مقدار هذه المدة لأنه لم يكن حينئذ ليل ونهار روى عن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة وإنما خلقها فى ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت ثم استوى على العرش الرحمن أى هو الرحمن فالرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الضمير فى استوى أو الذى خلق مبتدأ والرحمن خبره فسئل بلا همزة مكى وعلى به صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون صلة فى قوله تعالى ثم

لتسئلن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه أو صلة خبيرا ويكون خبيرا مفعول سل أى فاسأل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فاسأل رجلا خبيرا به وبرحمته أوالرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة وإذا قيل لهم أى إذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين اسجدوا للرحمن صلوا لله واخضعوا له قالوا وما الرحمن أى لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن

تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا (61) وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا (62) وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (63)

الفرقان 63 - 60
المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أو عن معناه لأنه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم أنسجد لما تأمرنا للذى تأمرنا بالسجود له أو لامرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به يأمرنا على وحمزة كان بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو فقد عاندوا لأن معناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التى لا غاية بعدها فى الرحمة لأن فعلان من أبنية المبالغة تقول رجل عطشان إذا كان فى نهاية العطش وزادهم قوله اسجدوا للرحمن نفورا تباعدا عن الإيمان تبارك الذى جعل فى السماء بروجا هى منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما وللشمس بيت وللقمر بيت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والأسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشترى والجدى والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية والثور

والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوازء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية سميت المنازل بالبروج التي هى القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها وانشقاق البروج من التبرج لظهوره وقال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هى النجوم الكبار لظهورها وجعل فيها فى السماء سراجا يعنى الشمس لتوقدها سرجا حمزة وعلى أى نجوما وقمرا منيرا مضيئا بالليل وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة فعلة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوى خلفة يخلف أحدهما الآخر عند مضيه أو يخلفه فى قضاء ما فاته من الورد لمن أراد أن يذكر يتدبر فى تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما يذكر حمزة وخلف أى يذكر الله أو المنسى فيقضى أو أراد شكورا أى يشكر نعمة ربه عليه فيهما وعباد الرحمن مبتدأ خبره الذين يمشون أو أولئك يجزون والذين يمشون وما بعدهما صفة والإضافة إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل وصف أولياءه بعدما وصف أعداءه على الأرض هونا حال أو صفة للمشى أى هينين أو مشيا هينا والهون الرفق واللين أى يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون

والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما (64) والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما (65) إنها ساءت مستقرا ومقاما (66) والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (67)

الفرقان 67 - 63
مرح واختيال وتكبر فلا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذا كره بعض العلماء الركوب فى الأسواق ولقوله ويمشون فى الأسواق و إذا خاطبهم الجاهلون أى السفهاء بما يكرهون قالوا سلاما سدادا من القول يسلمون فيه من الإيذاء والافك أو تسلما منكم نتاركم ولا تجاهلكم فاقيم السلام مقام التسلم وقيل نسختها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك فالاغضاء عن السفهاء مستحسن شرعا ومروءة هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا جمع ساجد وقياما جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهى ان

يدركك الليل نمت أو لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن فى صلاة وإن قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما هلاكا لازما ومنه الغريم لملازمته وصفهم باحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانا بأنهم مع إجتهادهم خائفون مبتهلون متضرعون إلى الله فى صرف العذاب عنهم إنها ساءت مستقرا ومقاما أى أن جهنم وساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرا لها أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز ويصح أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا الحد فى النفقة أو لم يأكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم ينفقوا فى المعاصى فالإسراف مجاوزة القدر وسمع رجل رجلا يقول لا خير فى الإسراف فقال لا إسراف فى الخير وقال عليه الصلاة والسلام من منع حقا فقد قتر ومن أعطى فى غير حق فقد أسرف ولم يقتروا بضم التاء كوفي وبضم الياء وكسر التاء مدنى وشامى وبفتح الياء وكسر التاء مكى وبصرى والفتر والإفتار والتقتير والتضييق الذى هو نقيض الإسراف وكان إنفاقهم بين ذلك أى الإصراف والإقتار قواما أى عدلا بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان أي بين ذلك قواما خبران وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر عليه الصلاة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك الآية وسأل عبدالملك بن مروان عمر عبدالعزيز عن نفقته

والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما (68) يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا (69) إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما (70) ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا (71) والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما (72)

الفرقان 72 - 68
حين زوجه ابنته فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبدالملك أنه أراد ما فى هذه الآية وقيل أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وسترالعورة ودفع الحر والقر وقال عمر رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهى الرجل شيئا إلا أكله والذين لا يدعون مع الله إلها آخر أى لا يشركون ولا يقتلون النفس التى حرم الله أى حرمها يعنى حرم قتلها إلا بالحق بقود أو رجم أو ردة أو شرك أو سعى فى الأرض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون ولا يزنون ونفى هذه الكبائر عن عبادة الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كانه قيل والذين طهرهم الله مما أنتم عليه ومن يفعل ذلك أى المذكور يلق أثاما جزاء الاثم يضاعف بدل من يلق لأنهما فى معنى واحد إذ مضاعفة العذاب هى لقاء الاثام كقوله ... متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا ... تجد حطبا جزلا ... ونارا تأججا
فجزم تلمم لأنه بمعنى تأتنا إذ الاتيان هو الالمام يضعف مكى ويزيد ويعقوب يضعف شامى يضاعف أبو بكر على الاستئناف أو على الحال ومعنى يضاعف له العذاب يوم القيامة أى يعذب على مرور الأيام فى الآخرة عذابا على عذاب وقيل إذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة العذاب المعاقب عليه ويخلد جزمه جازم يضاعف ورفعه رافعه لأنه معطوف عليه فيه فى العذاب فيهى مكى وحفص بالاشباع وإنما خص حفص الاشباع بهذه الكلمة مبالغة فى الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع أن الأصل فى هاء الكناية الاشباع مهانا حال أى ذليلا الا من تاب عن الشرك وهو استثناء من الجنس فى موضع النصب وآمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وعمل عملا صالحا بعد توبته فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات أى يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة ولم يرد به أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل مخففا البرجمى وكان الله غفورا يكفر السيآت رحيما يبدلها بالحسنات ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا أى ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فإنه يتوب بذلك إلى الله تعالى متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب والذين لا يشهدون الزور أى الكذب يعنى ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا

والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا (73) والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما (74) أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما (75) خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما (76) قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما (77)

الفرقان 75 - 72
يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله إذ مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك النظارة إلى ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الآثام لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب وجود الزيادة فيه وفى مواعظ عيسى عليه السلام إياكم ومجالسة الخاطئين أو لا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف وعن قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لا يشهدون اللهو والغناء و إذا مروا باللغو بالفحش وكل ما ينبغى أن يلغى ويطرح والمعنى وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به مروا كراما معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقوله وإذا سمعوا اللغو عرضوا عنه وعن الباقر رضى الله عنه إذا ذكروا الفروج كنوا عنها والذين إذا ذكروا بآيات ربهم أى قرئ عليهم القرآن أووعظوا بالقرآن لم يخروا عليها صما وعميانا هذا ليس بنفى الخرور بل هو إثبات له ونفى الصم والعمى ونحوه لا يلقانى زيد مسلما هو نفى للسلام لا للقاء يعنى أنهم إذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية لما أمروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين وأشباههم دليله قوله تعالى وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا من البيان كانه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد أو للابتداء على معنى هب لنا من جهنم ما تقربه عيوننا من طاعة وصلاح وذريتنا أبو عمرو وكوفى غير حفص لإرادة الجنس وغيرهم ذرياتنا قرة أعين وإنما نكر لأجل تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وإنما قيل أعين على القلة دون عيون لأن المراد أعين المتقين وهى قليلة بالاضافة

إلى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور ويجوز أن يقال في تنكير أعين أنها أعين خاصة وهى أعين المتقين والمعنى أنهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله تعالى بسرون بمكانهم وتقربهم عيونهم وقيل ليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه واجعلنا للمتقين إماما أى أئمة يقتدون بنا فى الدين فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس أو واجعل كل واحد منا اماما قيل فى الآية ما يدل على أن الرياسة فى الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها أولئك يجزون الغرفة أى الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله وهم فى الغرفات آمنون بما صبروا أى بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار

طسم (1) تلك آيات الكتاب المبين (2) لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين (3) إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين (4)

الفرقان 77 - 75
الشعراء 4 - 1
ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك ويلقون فيها ويلقون كوفى غير حفص تحية دعاء بالتعمير وسلاما ودعاء بالسلامة يعنى أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه خالدين فيها حال حسنت أى الغرفة مستقرا ومقاما موضع قرار وإقامة وهى فى مقابلة ساءت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤا بكم ربى لولا دعاؤكم ما متضمنة لمعنى الاستفهام وهى فى محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام أو لولا عبادتكم له أى أنه خلقكم لعبادته كقوله وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون أى الإعتبار عند ربكم لعبادتكم أو ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم فقد كذبتم رسولى يا أهل مكة فسوف يكون العذاب لزاما أى ذا لزام أو ملازما وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك ما يعبأ ما يبالى بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه الها آخر

سورة الشعراء مكية وهى مائتان وعشرون وسبع آيات
بسم الله الرحمن الرحيم
طسم طس ويس وحم ممالة كوفى غير الأعشى والبرجمى وحفص ويظهر النون عند الميم يزيد وحمزة وغيرهما يدغمها تلك آيات الكتاب المبين الظاهر إعجازه وصحة أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع قاتل ولعل للاشفاق نفسك من الحزن يعنى أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة وحزنا على ما فاتك من إسلام قومك أن لا تكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا أو لا متناع إيمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا إن نشأ إيمانهم ننزل عليهم من السماء آية دلالة واضحة فظلت أى فتظل لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضى فى معنى المستقبل تقول ان زرتنى أكرمتك أى أكرمك كذا قاله الزجاج أعناقهم رؤساؤهم ومقدموهم أو جماعتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم لها خاضعين منقادين وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فينا وفى بنى أمية فتكون لنا عليهم الدولة

وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين (5) فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون (6) أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (7) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (8) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (9) وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين (10) قوم فرعون ألا يتقون (11) قال رب إني أخاف أن يكذبون (12) ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون (13)

الشعراء 13 - 5
فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين أى وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفروا به فقد كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به فسيأتيهم فيسعلمون أنبؤا أخبار ما كانوا به يستهزؤون وهذا وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ما الشئ الذى كانوا يستهزءون به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التى كانت خافية

عليهم أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا كم نصب بانبتنا فيها من كل زوج صنف من النبات كريم محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والأنعام كالرجل الكريم الذى نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتى الكثرة والاحاطة أن كلمة كل تدل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة وبه نبه هلى كمال قدرته إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين أى أن فى انبات تلك الأصناف لآية على أن منبتها قادر على إحياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجى إيمانهم و إن ربك لهو العزيز فى انتقامه من الكفرة الرحيم لمن آمن منهم ووحد آية مع الإخبار بكثرتها لأن ذلك مشار به إلى مصدر أنبتنا والمراد أن في كل واحدى من تلك الأزواج لآية أي آية وإذ مفعول به أى اذكر اذ نادى دعا ربك موسى ان أئت ان بمعنى أى القوم الظالمين أنفسهم بالكفر وبنى إسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف قوم فرعون عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ألا يتقون أي ائتهم زاجرا فقد آن لهم أن يتقوا وهى كلمة حث وإغراء ويحتمل أنه حال من الضمير فى الظالمين أى يظلموا غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال قال رب إنى أخاف الخوف غم يلحق الإنسان لأمر سيقع أن يكذبون ويضيق صدرى بتكذيبهم

ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون (14) قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون (15) فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين (16) أن أرسل معنا بني إسرائيل (17) قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين (18)

الشعراء 18 - 13
اياي مستأنف أو عطف على اخاف ولا ينطلق لسانى بأن تغلبنى الحمية على ما أرى من المحال واسمع من الجدال وبنصبهما يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع فأرسل إلى هرون أي ارسل إليه جبريل واجعله نبيا يعيننى على الرسالة وكان هرون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام

توقفا فى الامتثال بل التماس عون فى تبليغ الرسالة وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف فى امتثال الأمر وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ولهم على ذنب أى تبعة ذنب بقتل القبطى فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة فاخاف ان يقتلون أى يقتلونى به قصاصا وليس هذا تعللا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة ولذا وعده بالكلاءة والدفع بكلمة الردع وجمع له الاستجابتين معا فى قوله قال كلا فاذهبا لأنه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه فاجابه بقوله اذهبا أى جعلته رسولا معك فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون بآياتنا مع آياتنا وهى اليد والعصا وغير ذلك أنا معكم أى معكما بالعون والنصرة ومع من أرسلتما اليه بالعلم والقدرة مستمعون خبر لان ومعكم لغو أو هما خبران أى سامعون والاستماع فى غير هذا الاصغاء للسماع يقال استمع فلان حديثه أى أصغى اليه ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين لم يثن الرسول كما ثنى فى قوله انا رسولا ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوى فى الوصف به الواحد والتثنية والجمع ولانهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كانهما رسول واحد أو أريد ان كل واحد منا أن أرسل بمعنى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول معنا بنى اسرائيل يريد خلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما فاتيا بابه فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب أن ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا إليه الرسالة فعرف فرعون موسى فعند ذلك قال ألم نر بك فينا وليدا وانما حذف فأتيا فرعون فقالا اختصارا والوليد الصبى لقرب عهده من الولادة أى ألم تكن

وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين (19) قال فعلتها إذا وأنا من الضالين (20) ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين (21) وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل (22) قال فرعون وما رب العالمين (23) قال رب

السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين (24)

الشعراء 24 - 18
صغيرا فربيناك ولبثت فينا من عمرك سنين قيل ثلاثين سنة وفعلت فعلتك التى فعلت يعنى قتل القبطى فعرض اذ كان ملكا وأنت من الكافرين بنعمتى حيث قتلت خبازى أو كنت على ديننا الذى تسمية كفرا وهذا افتراء منه عليه لأنه معصوم من الكفر وكان يعايشهم بالتقية قال فعلتها إذا أى اذ ذاك وأنا من الضالين الجاهلين بأنها تبلغ القتل والضال عن الشئ هو الذاهب عن معرفته أو الناسين من قوله أن تضل احداهما فتذاكر إحداهما الأخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين واذا جواب وجزاء معا وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاء له لأن قول فرعون وفعلت فعلتك معناه انك جازيت نعمتى بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لأن نعمته كانت جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء ففررت منكم الى مدين لما خفتكم أن تقتلونى وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الآية فوهب لى ربى حكما نبوة وعلما فزال عنى الجهل والضلالة وجعلنى من المرسلين من جملة رسله وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من أصله وأبي أن تمسى نعمة لأنها نقمة حيث بين أن حقيقة أنعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته ولو تركهم لرباه ابواه فكأن فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه واخراجه من حجر أبويه إذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد الضمير فى تمنها وعبدت وجمع فى منكم وخفتكم لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملته المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد وتلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هى إلا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك أى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على قال فرعون وما رب العالمين أى انك تدعى أنك رسول رب العالمين فما صفته لأنك إذا أردت السؤال عن صفة زيد تقول ما زيد تعنى أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب نص عليه صاحب الكشاف وغيره قال موسى مجيبا له على وفق سؤاله رب السموات والأرض وما بينهما أى وما بين الجنسين

إن كنتم موقنين أى ان كنتم تعرفون الأشياء بالدليل فكفى خلق

قال لمن حوله ألا تستمعون (25) قال ربكم ورب آبائكم الأولين (26) قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (27) قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون (28) قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين (29) قال أولو جئتك بشيء مبين (30)

الشعراء 30 - 25
هذه الأشياء دليلا أو ان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والالم ينفع والايقان العلم الذى يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن قال أى فرعون لمن حوله من أشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة ألا تستمعون معجبا قومه من جوابه لأنهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوثهما وان لهما ربا فاحتاج موسى إلى أن يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدل حيث قال ربكم رب آبائكم الأولين أى هو خالقكم وخالق آبائكم فان لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم وانما قال رب آبائكم لأن فرعون كان يدعى الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم قال أى فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون حيث يزعم ان فى الوجود إلها غيرى وكان فرعون ينكر إلهية غيره قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فتستدلون بما أقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد حيث عمم أولا بخلق السموات والأرض وما بينهما ثم خصص من العام البيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستومن أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرودين كنعان وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده أن موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه فقال معجبا لهم من جواب موسى

ألا تستمعون فعاد موسى إلى مثل قوله الأول فجننه فرعون زاعما أنه حائد عن الجواب فعاد ثالثا إلى مثل كلامه الأول مبينا أن الفرد الحقيقى إنما يعرف بالصفات وأن السؤال عن الماهية محال واليه الاشارة فى قوله تعالى ان كنتم تعقلون أى ان كان لكم عقل علمكم أنه لا تمكن معرفته إلا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه قال لئن اتخذت إلها غيرى أى غيرى إلها لأجعلنك من المسجونين أى لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل ولو قيل لاسجننك لم يؤد هذا المعنى وان كان أخصر قال أولو جئتك الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أى أتفعل

قال فأت به إن كنت من الصادقين (31) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين (32) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين (33) قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم (34) يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون (35) قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين (36) يأتوك بكل سحار عليم (37) فجمع السحرة لميقات يوم معلوم (38) وقيل للناس هل أنتم مجتمعون (39)

الشعراء 39 - 30
بى ذلك ولو جئتك بشئ مبين أى جائيا بالمعجزة قال فأت به بالذى يبين صدقك ان كنت من الصادقين ان لك بينة وجواب الشرط مقدر أى فأحضره فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شئ يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة بالشعوذة والسحر روى ان العصا ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم الخطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذى أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين فيه دليل على أن بياضها كان شئ يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نوريا روى ان فرعون لما أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال لفرعون ما هذه قال فرعون يدك فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق قال أى فرعون للملأ حوله هو منصوب نصبين

نصب فى اللفظ والعامل فيه ما يقدر فى الظرف ونصب فى المحل وهو النصب على الحال من الملا أى كائنين حوله والعامل فيه قال ان هذا لساحر عليم بالسحر ثم أغوى قومه على موسى بقوله يريد أن يخرجهم من أرضكم بسحره فماذا منصوب لأنه مفعول به من قولك أمرتك الخير تأمرون تشيرون فى أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهى المشاورة أو من الأمر الذى هو ضد النهى لما تحير فرعون برؤية الآيتين وزل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائضه خوفا طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم أو جعلهم آمرين ونفسه مأمورا قالوا أرجه وأخاه أخر أمرهما ولا تباغت قتلهما خوفا من الفتنة وابعث فى المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون ان هذا لساحر عليم بقولهم يأتوك بكل سحار عليم فجاءوا بكلمة الإحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقة فجمع السحرة لميقات يوم معلوم أى يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذى وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة فى قوله تعالى موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أحد أى حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الإحرام وقيل للناس هل أنتم مجتمعون أى اجتمعوا وهو استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم

لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين (40) فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين (41) قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين (42) قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون (43) فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون (44) فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون (45) فألقي السحرة ساجدين (46) قالوا آمنا برب العالمين (47) رب موسى وهارون (48) قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين (49)

الشعراء 49 - 40
لعلنا نتبع السحرة فى دينهم إن كانوا هم الغالبين أى غلبوا موسى فى دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وإنما الغرض الكلى أن لا يتبعوا

موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وبكسر العين على وهما لغتان وانكم إذا لمن المقربين أى قال فرعون نعم لكم أجر عندى وتكونون مع ذلك من المقربين عندى فى المرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج ولما كان قولهم أئن لنا لأجرا فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم إذا لمن المقربين معطوفا عليه دخلت إذا قارة فى مكانها الذى تقتضيه من الجواب والجزاء قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون من السحر فسوف ترون عاقبته فألقوا حبالهم سبعين ألف حبل وعصيهم سبعين ألف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا وكذا العصى وقالوا بعزة فرعون أنا لنحن الغالبون أقسموا بعزته وقوته وهو من أيمان الجاهلية فالقى موسى عصاه فإذا هى تلقف تبتلع ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه ويخيلون فى حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى فألقى السحرة ساجدين عبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة لأنه ذكر مع الالقاآت ولأنهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقوا قالوا آمنا برب العالمين عن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون كان يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه وقيل ان فرعون لما سمع منهم آمنا برب العالمين قال ايای عنيتم قالوا رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم بذلك إنه لكبيركم الذى علمكم السحر وقد تواطأتم على أمر ومكر فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم ثم صرح فقال لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف

قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون (50) إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين (51) وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون (52) فأرسل فرعون في المدائن حاشرين (53) إن هؤلاء لشرذمة قليلون (54) وإنهم لنا لغائظون (55) وإنا لجميع حاذرون (56)

الشعراء 56 - 49
من أجل خلاف ظهر منكم ولأصلبنكم أجمعين كانه أراد به ترهيب

العامة لئلا يتبعوهم فى الإيمان قالوا لا ضير لا ضرر وخبر لا محذوف أى فى ذلك أو علينا إنا إلى ربنا منقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا لأن كنا أول المؤمنين من أهل المشهد أو من رعية فرعون أرادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا فى قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان وأوحينا إلى موسى أن أسر وبوصل الهمزة حجازى بعبادى بنى اسرائيل سماهم عباده لايمانهم بنبيه أى سربهم ليلا وهذا بعد سنين من إيمان السحرة انكم متبعون يتبعكم فرعون وقوله علل الأمر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم يعنى إنى بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فأهلكهم وروى أنه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى اوحى إلى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإنى سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى تنتهى إلى البحر فيأتيك أمرى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين أى جامعين للناس بعنف فلما اجتمعوا قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلها قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجمع كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة وأراد بالقلة الذلة لا قلة العدد أى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا تتوقع غلبتهم وإنما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا لكثرة من معه فعن الضحاك كانوا سبعة آلاف ألف وأنهم لنا لغائظون أى انهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا وهى خروجهم من مصرنا وحملهم علينا وقتلهم أبكارنا وانا لجميع حاذرون شامى وكوفى وغيرهم حذرون فالحذر المتيقظ والحاذر الذى يجدد حذره وقيل المؤدى فى السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعنى ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به العجز

فأخرجناهم من جنات وعيون (57) وكنوز ومقام كريم (58) كذلك وأورثناها بني إسرائيل (59) فأتبعوهم مشرقين (60) فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون (61) قال كلا إن معي ربي سيهدين (62) فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (63) وأزلفنا ثم الآخرين (64) وأنجينا موسى ومن معه أجمعين (65) ثم أغرقنا الآخرين (66) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (67) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (68)

الشعراء 66 - 57
والفتور فأخرجناهم من جنات بساتين وعيون وأنهار جارية وكنوز وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لأنهم لا ينفقون منها فى طاعة الله تعالى ومقام ومنزل كريم بهى بهيج وعن ابن عباس رضى الله عنهما المنابر كذلك يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذى وصفنا والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى الأمر كذلك وأورثناها بنى إسرائيل عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا وأخذوا ديارهم وأموالهم فأتبعوهم فلحقوهم فأتبعوهم يزيد مشرقين حال أى داخلين فى وقت شروق الشمس وهو طلوعها أدرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس فلما تراء الجمعان أى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو إسرائيل والقبط قال أصحاب موسى إنا لمدركون أى قرب أن يلحقنا عدونا وأمامنا البحر قال موسى عليه السلام ثقة بوعد الله إياه كلا ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم ان معى معى حفص ربى سيهدين أى سيهدينى طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم سيهدينى بالياء يعقوب فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر أي القلزم أو النيل فانفلق أي فضرب فانفلق وانشتى فصار اثنى عشر فرقا على عدد الأسباط فكان كل فرق أي جزء تفرق منه كالطود العظيم كالجبل المنطاد في السماء وأزلفنا ثم حيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون أي قربناهم من بنى إسرائيل أو من البحر وأنجينا موسى ومن معه أجمعين من الغرق ثم أغرقنا الآخرين فرعون وقومه وفيه إبطال القول بتأثير الكواكب فى الآجال وغيرها من الحوادث فإنهم اجتمعوا فى الهلاك مع اختلاف طوالعهم روى أن جبريل عليه السلام

كان بين بنى إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى إسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم بأولكم فلما انتهى موسى إلى البحر قال يوشع لموسى اين أمرت فهذا البحر أمامك وغشيك آل فرعون قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ إن فى ذلك أى فيما فعلنا

واتل عليهم نبأ إبراهيم (69) إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون (70) قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (71) قال هل يسمعونكم إذ تدعون (72) أو ينفعونكم أو يضرون (73) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (74) قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون (75) أنتم وآباؤكم الأقدمون (76) فإنهم عدو لي إلا رب العالمين (77) الذي خلقني فهو يهدين (78) والذي هو يطعمني ويسقين (79)

الشعراء 79 - 67
بموسى وفرعون لآية لعبرة عجيبة لا توصف وما كان أكثرهم أي المغرقين مؤمنين قالوا لم يؤمن منهم إلا آسية وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم التى دلت موسى على قبر يوسف وإن ربك لهو العزيز بالانتقام من أعدائه الرحيم بالإنعام على أوليائه واتل عليهم على مشركى قريش نبأ إبراهيم خبره إذ قال لأبيه وقومه قوم إبراهيم أو قوم الأب ماتعبدون أي أي شيء تعبدون وإبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة الأصنام ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس بمستحق للعبادة قالوا نعبد أصناما وجواب ما تعبدون أصناما كيسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لأنه سؤال عن المعبود لا عن العبادة وإنما زادوا نعبد فى الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد فنظل لها عاكفين فقيم على عبادتها طول النهار وإنما قالوا فنظل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل أو معناه الدوام قال أى إبراهيم هل يسمعونكم هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف لدلالة إذ تدعون عليه أو ينفعوكم إن عبدتموها أو يضرون إن تركتم عبادتها قالوا بل إضراب أى لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا نعبدها لشئ من ذلك ولكن وجدنا آباءنا كذلك يفعلون

فقلدناهم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون الأولون فإنهم أى الأصنام عدو لى والعدو والصديق يجيئان فى معنى الوحدة والجماعة يعنى لو عبدتهم لكانوا أعداء لى فى يوم القيامة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب أى فإنى عدوهم وفى قوله عدو لى دون لكم زيادة نصح ليكون ادعى لهم إلى القبول ولو قال فإنهم عدو لكم لم يكون بتلك المثابة إلا رب العالمين استثناء منقطع لأنه لم يدخل تحت الأعداء كأنه قال لكن رب العالمين الذى خلقنى بالتكوين فى القرار المكين فهو يهدين لمناهج الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال فى يهديني مع سبق العناية لأنه يحتمل يهدينى للاهم الأفضل والأتم الأكمل أو الذى خلقنى لأسباب خدمته فهو يهديني إلى آداب خلته والذي هو يطعمنى أضاف الإطعام إلى ولى الإنعام لأن لركون إلى الأسباب عادة الأنعام ويسقين قال ابن عطاء هو الذى يحيينى بطعامه ويروينى بشرابه

وإذا مرضت فهو يشفين (80) والذي يميتني ثم يحيين (81) والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (82) رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين (83) واجعل لي لسان صدق في الآخرين (84) واجعلني من ورثة جنة النعيم (85) واغفر لأبي إنه كان من الضالين (86) ولا تخزني يوم يبعثون (87) يوم لا ينفع مال ولا بنون (88) إلا من أتى الله بقلب سليم (89)

الشعراء 89 - 80
وإذا مرضت وإنما لم يقل أمرضنى لأنه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف اليه ما يقتضى الضر قال ابن عطاء وإذا مرضت برؤية الخلق فهو يشفين بمشاهدة الحق قال الصادق إذا مرضت برؤية الأفعال فهو يشفين بكشف منة الإفضال والذى يميتنى ثم يحيين ولم يقل إذا مت لأنه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء إلى روض البقاء لوعد اللقاء وأدخل ثم فى الإحياء لتراخيه عن الافناء وادخل الفاء في الهداية والشفاء لأنهما يعقبان الخلق والمرض لامعا معا والذي أطمع طمع العبيد فى الموالى بالافضال لا على الاستحقاق بالسؤال ان يغفر لى خطيئتى قيل هو قوله انى سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربى للبازغ هى أختى لسارة وما هى إلا معاريض جائزة وليست بخطايا

يطلب لها الاستغفار واستغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم وتعليم للأمم فى طلب المغفرة يوم الدين يوم الجزاء رب هب لى حكما حكمة أو حكما بين الناس بالحق أو نبوة لأن النبى عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله وألحقنى بالصالحين أى الأنبياء ولقد أجابه حيث قال وأنه فى الآخرة لمن الصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين أى ثناء حسنا وذكرا جميلا فى الأمم التى تجئ بعدى فأعطى ذلك فكل أهل دين يتولونه ويثنون عليه ووضع اللسان موضع القول لأن القول يكون به واجعلنى من يتعلق بمحذوف أى وارثا من ورثة جنة النعيم أى من الباقين فيها واغفر لابى اجعله أهل المغفرة بإعطاء الإسلام وكان وعده الاسلام يوم فارقه إنه كان من الضالين الكافرين ولا تحزنى يوم يبعث الضالون وأبى فيهم يوم لا ينفع مال هو بدل من يوم الأول ولا بنون أحدا إلا من أتى الله بقلب سليم عن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى فى قلوبهم مرض أى أن المال إذا صرف فى وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب أو جعل المال والبنون فى معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من أتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما أن غناه فى دنياه بماله وبينه وقد جعل من مفعولا لينفع أى لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلا قلبه مع ماله حيث انفقه فى طاعة الله ومع بنيه

وأزلفت الجنة للمتقين (90) وبرزت الجحيم للغاوين (91) وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون (92) من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون (93) فكبكبوا فيها هم والغاوون (94) وجنود إبليس أجمعون (95) قالوا وهم فيها يختصمون (96) تالله إن كنا لفي ضلال مبين (97) إذ نسويكم برب العالمين (98) وما أضلنا إلا المجرمون (99) فما لنا من شافعين (100) ولا صديق حميم (101)

الشعراء 101 - 90
حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا إلا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الجليل استثناء الخليل اكراما له ثم جعله صفة له فى قوله وأن من شيعته لابراهيم

إذ جاء ربه بقلب سليم وما أحسن ما رتب عليه السلامة من كلامه مع المشركين حيث سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أقبل على آلهتهم فابطل امرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فاخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم صور المسألة فى نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمته من حين إنشائه إلى وقت وفاته مع ما يرجى فى الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك أن دعا بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الأدب ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا وازلفت الجنة للمتقين أي قربت عطف جملة على جملة أي تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها وبرزت الجحيم أي أظهرت حتى يكاد يأخذهم لهبها للغاوين للكافرين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون يوبخون على اشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهتهم وقود النار فكبكبوا انكسوا وطرح بعضهم بعض فيها فى الجحيم هم أي الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة أثر مرة حتى يستقر فى قعرها نعوذ بالله منها وجنود إبليس أجمعون شياطينه أو متبعوه من عصاة الإنس والجن قالوا وهم فيها يختصمون يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم نعدلكم أيها الاصنام برب العالمين فى العبادة وما أضلنا إلا المجرمون أى رؤساؤهم الذين أضلوهم أو إبليس وجنوده ومن سن الشرك فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الأنبياء والأولياء والملائكة ولا صديق حميم كما نرى لهم أصدقاء إذ لا يتصادق فى الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو فما لنا من شافعين

فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين (102) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (103) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (104) كذبت قوم نوح المرسلين (105) إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون (106)

إني لكم رسول أمين (107) فاتقوا الله وأطيعون (108) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (109) فاتقوا الله وأطيعون (110) قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون (111)

الشعراء 111 - 102
ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون فى أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الإنس والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام الذى يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وأما الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما أهمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز أن يراد بالصديق الجمع فلو أن لنا كرة رجعة الى الدنيا فنكون من المؤمنين وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت أو لو فى مثل هذا بمعنى التمنى كانه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقى إن فى ذلك فيما ذكر من الأنباء لآية أى لعبرة لمن اعتبر وما كان اكثرهم مؤمنين فيقال فريقا منهم آمنوا وإن ربك لهو العزيز المنتقم ممن كذب إبراهيم بنار الجحيم الرحيم المسلم كل ذى قلب سليم إلى جنة النعيم كذبت قوم نوح المرسلين القوم يذكر ويؤنث قيل ولد نوح فى زمن آدم عليه السلام ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة أو برد أو كانوا ينكرون بعث الرسل أصلا فلذا جمع أو لأن من كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لأن كل رسول يدعو الناس إلى الإيمان بجميع الرسل وكذا جميع ما فى هذه السورة إذ قال لهم أخوهم نسبا لا دينا نوح ألا تتقون خالق الأنام فتتركوا عبادة الأصنام إنى لكم رسول أمين كان مشهورا بالأمانة فيهم كمحمد عليه الصلاة والسلام فى قريش فاتقوا الله وأطيعون فيما آمركم به وأدعوكم اليه من الحق وما أسئلكم عليه على هذا الأمر من أجر جزاء إن أجرى بالفتح مدني وشامي وأبو عمرو وحفص إلا على رب العالمين فلذلك أريده فاتقوا الله وأطيعون كرره ليقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فعلة الأول كونه أمينا فبما بينهم وعلة الثانى حسم طمعة منهم كانه قال إذا عرفتم رسالتى وأمانتى فاتقوا الله ثم إذا عرفتم احترازى من الأجر فاتقوا الله قالوا أنؤمن لك واتبعك الواو للحال وقد مضمرة بعدها

دليلة قراءة يعقوب واتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال الأرذلون السفلة والرذلة الخسة والدناءة وإنما استرذلوهم لا تضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنيئة والصناعة لا تزرى بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز

قال وما علمي بما كانوا يعملون (112) إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون (113) وما أنا بطارد المؤمنين (114) إن أنا إلا نذير مبين (115) قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (116) قال رب إن قومي كذبون (117) فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين (118) فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون (119) ثم أغرقنا بعد الباقين (120) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (121) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (122) كذبت عاد المرسلين (123) إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون (124) إني لكم رسول أمين (125) فاتقوا الله وأطيعون (126) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (127)

الشعراء 127 - 112
أن يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس وأوضعهم نسبا وما زالت اتباع الانبياء كذلك قال وما علمي وأي شيء وأعلم بما كانوا يعملون من الصناعات إنما أطلب منهم الايمان وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وقالوا ان الذين آمنوا بك ليس في قلوبهم ما يظهرونه فقال ما على الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر إن حسابهم الاعلى ربي لو تشعرون ان الله يحاسبهم على ما في قلوبهم وما أنا بطارد المؤمنين أي ليس من شأني أن اتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا في إيمانكم إن أنا إلا نذير مبين ما على إلا أن أنذركم إنذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المقتولين بالحجارة قال رب ان قومي كذبون ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه اراد انهم كذبوني في وحيك ورسالتك فافتح بيني وبينهم فتحا أي فاحكم بيني وبينهم حكما والفتاحة الحكوم والفتاح الحاكم لانه يفتح

المستغلق كما سمي فيصلا لأنه يفصل بين الخصومات ونجنى ومن معي معي حفص من المؤمنين من عذاب عملهم فأنجيناه ومن معه في الفلك الفلك السفينة وجمعه فلك فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد المشحون المملوء ومنه شحنة البلد أي الذي يملؤه كفاية ثم أغرقنا بعد أي بعد انجاء نوح ومن آمن الباقين من قومه ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز المنتقم باهانه من جحد واصر الرحيم المنعم باعانة من وحد واقر كذبت عاد المرسلين هي قبيلة وفي الاصل اسم رجل هو ابوالقبيلة إذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله في تكذيب الرسول الأمين وأطيعون وما أسئلكم عله من أجر إن أجري

أتبنون بكل ريع آية تعبثون (128) وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (129) وإذا بطشتم بطشتم جبارين (130) فاتقوا الله وأطيعون (131) واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون (132) أمدكم بأنعام وبنين (133) وجنات وعيون (134) إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (135) قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين (136) إن هذا إلا خلق الأولين (137) وما نحن بمعذبين (138) فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (139) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (140) كذبت ثمود المرسلين (141) إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون (142) إني لكم رسول أمين (143) فاتقوا الله وأطيعون (144) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (145) أتتركون في ما ها هنا آمنين (146) في جنات وعيون (147) وزروع ونخل طلعها هضيم (148)

الشعراء 146 - 127
الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع مكان مرتفع آية برج حمام أو بناء يكون لارتفاعه كالعلامة يسخرون بمن مر بهم تعبثون تلعبون وتتخذون مصانع مآخذ الماء أو قصور مشيدة أو حصونا لعلكم تخلدون ترجون الخلود فى الدنيا وإذا بطشتم أخذتم أخذ العقوبة بطشتم جبارين قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب فاتقوا الله فى البطش واطيعون فيما أدعوكم إليه واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون من النعم ثم عددها عليهم فقال امدكم بأنعام

وبنين قرن البنين الأنعام لأنهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان عصيتمونى قالوا سواء علينا أو عظت أم لم تكن من الواعظين أى لا يقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت ولم يقل أم لم تعظ لرءوس الآى إن هذا إلا خلق الأولين ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت واتخاذا لا بتناء إلا عادة الأولين أو ما نحن عليه دين الأولين إلا خلق الأولين مكى وبصرى ويزيد وعلى أى ما جئت به اختلاف الأولين وكذب المتنبئين قبلك كقولهم أساطير الأولين أو خلقنا كخلق الأولين نموت ونحيا كما حيوا وما نحن بمعذبين فالدنيا ولا بعث ولا حساب فكذبوه أى هودا فاهلكناهم بريح صرصر عاتية إن فى ذلك لآية وما كا ن أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح الا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما اسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون انكار لان يتركوا خالدين فى نعيمهم لا يزالون عنه فى ما ههنا فى الذى استقر

وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين (149) فاتقوا الله وأطيعون (150) ولا تطيعوا أمر المسرفين (151) الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون (152) قالوا إنما أنت من المسحرين (153) ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين (154) قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (155) ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم (156) فعقروها فأصبحوا نادمين (157) فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (158) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (159) كذبت قوم لوط المرسلين (160) إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون (161) إني لكم رسول أمين (162)

الشعراء 157 - 147
فى هذا المكان من النعيم آمنين من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله فى جنات وعيون وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل وزروع ونخل وعطف نخل على جنات مع أن الجنة تتناول النخل أول شىء تفضيلا للنخل على سائر الشجر طلعها هو ما يخرج من النخل كنصل

السيف هضيم لين خضيج كانه قال ونخل قد أرطب ثمرة وتنحتون تنقبون من الجبال بيوتا فارهين شامى وكوفى حاذقين حال وغيرهم فرهين اشرين والفراهة الكيس والنشاط فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الكافرين أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الأمر مطاعا علىالمجاز الحكمى والمراد الآمر وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه فى العقل لضرب من التأول كقولهم انبت الربيع البقل الذين يفسدون فىالأرض بالظلم والكفر ولا يصلحون بالإيمان والعدل والمعنى ان فسادهم مصمت ليس معه شىء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح قالوا إنما أنت من المسحرين المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وأنه بشر ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين فى دعوى الرسالة قال هذه ناقة لها شرب نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحمكم هى فيه روى انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فجعل صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة ونتجت سقبا مثلها فى العظم وصدرها ستون ذراعا وإذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وإذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهايأة لأن قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم من المهايأة ولا تمسوها بسوء بضرب أو عقر أو غير ذلك فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد فعقروها عقرها قدار ولكنهم راضون به فاضيف اليهم روى أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فأصبحوا نادمين على عقرها خوفا من نزول العذاب بهم لاندم توبة أو ندموا حين لا ينفع الندم وذلك

فاتقوا الله وأطيعون (163) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (164) أتأتون الذكران من العالمين (165) وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (166) قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين (167) قال إني لعملكم من القالين (168) رب نجني وأهلي مما يعملون (169)

فنجيناه وأهله أجمعين (170) إلا عجوزا في الغابرين (171) ثم دمرنا الآخرين (172) وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين (173) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (174) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (175)

الشعراء 171 - 158
عند معاينة العذاب أو على ترك الولد فأخذهم العذاب المقدم ذكره إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين أراد بالعالمين الناس اتطئون الذكور من الناس مع كثرة الاناث أو أتطئون أنتم من بين عداكم من العالمين الذكر ان أى أنتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينكح من الحيوان وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم من تبيين لما خلق أو تبعيض والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل على تحريم ادبار الزوجات والمملوكات ومن أجازه فقد أخطأ خطأ عظيما بل أنتم قوم عادون العادى المتعدى فى ظلمه المتجاوز فيه الحد أى بل أنتم قوم أحق بأن توصوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عن انكارك علينا وتقبيح أمرنا لنكونن من المخرجين من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال قال إنى لعملكم من القالين هو أبلغ من أن يقول قال فقولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد بأنه مساهم لهم فى العلم والقلى البغض يقلى الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لأن قلاه من حيث الدين رب نجنى وأهلى مما يعملون من عقوبة عملهم فنجيناه وأهله أجمعين يعنى بناته ومن آمن معه إلا عجوزا هى امرأة لوط وكانت راضية بذلك والرضى بالمعصية فى حكم العاصى واستثناء الكافرة من الأهل وهم مؤمنون للاشتراك فى هذا الاثم وان لم تشاركهم فى الإيمان فى الغابرين صفة لها أى فى الباقين فى العذاب فلم تنج منه والغابر فى اللغة الباقى كانه قيل الا عجوزا غابرة أى مقدارا غبورها إذ الغبور لم يكن

كذب أصحاب الأيكة المرسلين (176) إذ قال لهم شعيب ألا تتقون (177) إني لكم رسول أمين (178) فاتقوا الله وأطيعون (179) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (180) أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين (181) وزنوا بالقسطاس المستقيم (182) ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (183) واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين (184) قالوا إنما أنت من المسحرين (185)

الشعراء 184 - 172
صفتها وقت تنجيهم ثم دمرنا الآخرين والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم وأمطرنا عليهم مطرا عن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم الله وقيل لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة فساء فاعله مطر المنذرين والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم بل المراد جنس الكافرين إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الايكة بالهمزة والجر هى غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازى وشامى وكذا فى ص علم لبلد قيل أصحاب الأيكة هم أهل مدين التجئوا إلى غيضة إذ ألح عليهم الوهج والأصح أنها غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية وأكثر شجرهم المقل بدليل أنه لم يقل هنا أخوهم شعيب لأنه لم يكن من نسبهم بل ك كان من نسب أهل مدين فغي الحديث أن شعيبا أخا مدين أرسل اليهم وإلى أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إنى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين أوفوا الكيل أتموه ولا تكونوا من المخسرين ولا تنقصوا الناس حقوقهم فالكيل واف وهو مأمور به وطفيف وهو منهى عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركه دليل على أنه ان فعل فقد أحسن وان لم يفعل فلا شىء عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم وبكسر القاف كوفى غير أبى بكر وهو الميزان أو القبان فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعى ولا تبخسوا الناس يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه أشياءهم دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافها ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ولا تبالغوا فيهم فى الافساد نحو قطع الطريق والغارة

واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عنه يقال عنا فى الارض إذا أفسد وعن فى الأرض لغة فى عثا وابقوا الذى خلقكم والجبلة الجبلة عطف على كم أى اتقوا الذى

وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين (186)

الشعراء 195 - 185
خلقكم وخلق الجبلة الأولين الماضين قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا إدخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وتركها فى قصة ثمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم وان نظنك لمن الكاذبين إن مخففة من الثقيلة واللام دخلت الفرق بينهما وبين النافية وإنما تفرقنا على فعل الظن وثانى مفعوليه لأن أصلهما أن يتفرقا على المبتدأ و الخبر كقولك ان زيد المنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتدأ و الخبر فعل ذلك فى البابين فقيل ان فإن زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقنا فأسقط علينا كسفا كسفا حفص وهما جمعا كسفة وهى القطعة وكسفه قطعه من السماء أى السحاب أو الظلة ان كنت من الصادقين أى ان كنت صادقا أنك نبى فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء أى قطعا من السماء عقوبة قال ربى بفتح الياء حجازى وأبو عمروا وبسكونها غيرهم أعلم بما تعملون أى أن الله أعلم بأعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب فان أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشيئة فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة هى سحابة أظلتهم بعد ما حبست عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة أيام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا إنه كان عذاب يوم عظيم إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم وقد كرر فى هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر تقرير المعانيها فى الصدور ليكون أبلغ فى الوعظ والزجر ولأن كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جديرة بأن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وأن تحتم بما اختتمت به وانه أى القرآن لتنزيل رب العالمين منزل منه نزل به مخفف والفاعل الروح الأمين

أى جبريل لأنه أمين على الوحى الذى فيه الحياة حجازى وأبو عمرو وزيد وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب الروح والفاعل هو الله تعالى أى جعل الله الروح نازلا به والباء على القراءتين للتعدية على قلبك أى حفظك وفهمك إياه وأثبته فى قلبك إثبات مالا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى لتكون من المنذرين بلسان عربى بلغة

وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين (186)

الشعراء 199 - 195
قريش وجرهم مبين فصيح ومصحح عما صفحته العامة والباء إما أن يتعلق بالمنذرين أى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب واسماعيل عليهم السلام أو بنزل أى نزله بلسان عربى لتنذر به لأنه لو نزله بلسان أعجمى لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفى هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون لبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فإذا كلم بلغته التى نشأ عليها لم يكن قلبه ناظرا إلا إلى معانى الكلام وإن كلم بغيرها كان نظره أولا فى ألفاظها ثم فى معانيها وإن كان ماهرا بمعرفتها فهذا تقريرا أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربى مبين وإنه وإن القرآن لفى زبر الأولين يعنى ذكره مثبت فى سائر الكتب السماوية وقيل إن معانيه فيها دليل أ القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية فبالصلاة أو لم تكن لهم آية شامى جعلت آية اسم كان وخبره أن يعلمه أي القرآن لوجود ذكره فى التوراة وقيل فى تكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة والفاعل آية وأن يعلمه هو الاسم وتقديره أو لم يكن لهم علم علماه بنى إسرائيل آية علمؤا بنى إسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين وخط فى المصحف علمؤا بواو قبل الألف ولو نزلناه على بعض الاعجميين جمع أعجم وهو الذى من جنس العجم أفصح أو لم يفصح وقرأ الحسن الأعجمين وقيل الأعجمين تخفيف الاعجميين

كما قالوا الأشعرون أي الأشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجوز أن يجمع جمع السلامة لأن مؤنثه ففهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجزوا انضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتعاب قبله على أن البشارة بانزاله وصفته فى كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة السلام ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذى لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأ عليهم هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتحملوا لجحودهم عذرا وسموه سحرا ثم قال كذلك

وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين (186)

الشعراء 208 - 200
سلكناه أى أدخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين فى قلوب المجرمين الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والاصرار عليه يعنى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم وقررناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أى وجه دبر أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وهو حجتنا على المغتزلة فى خلق أفعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله لا يؤمنون به بالقرآن من قوله سلكناه في قلوب المجرمين موقع الموضح والملخص لأنه مسوق لثبات كونه مكذبا مجحودا فى قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أى سلكناه فيها غير مؤمن به حتى يروا العذاب الاليم المراد معاينة العذاب عند الموت ويكون ذلك ايمان يأس فلا ينفعهم فيأتيهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا وفيأتيهم معطوفان على يروا هل نحن منظرون يسألون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون إليها أفبعذابنا يستعجلون توبيخ لهم وانكار عليهم قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ أشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراداته وسكن إلى مألوفاته والله تعالى

يقول أفرأيت إن متعناهم سنين قيل هي سنو مدة الدنيا ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون به فى تلك السنين والمعنى ان استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل ثم قال هب ان الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران أنه لقى الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال عظنى فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم ومأأهلكنا من قرية الا لها منذرون رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد الا كما فى وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم لأن الأصل عدم الواو إذ الجملة صفة لقرية وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة

وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين (186) فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين (187) قال ربي أعلم بما تعملون (188) فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم (189) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (190) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (191)

الشعراء 218 - 209
بالموصوف ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة لأن أنذر وأذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة أو حال من الضمير فى منذرون أي ينذرونهم ذوى تذكرة أو مفعول له أي ينذرون لأجل التذكرة والموعظة أو المرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو تكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعد ما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين إليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين ولما قال المشركون أن الشياطين تلقى القرآن على محمد أنزل وما تنزلت به أى القرآن الشياطين وما

ينبغى لهم وما يستطيعون وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه انهم عن السمع لمعزولون لممنوعون بالشهب فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين مورد النهى لغيره على التعريض والتحريك له على زيادة الاخلاص وأنذر عشيرتك الاقربين خصهم لنفى التهمة إذ الانسان يساهل قرابته أو ليعلموا أنه لا يغنى عنهم من الله شيئا وان النجاة في اتباعه دون قربه ولما نزلت صعد الصفا ونادى فالاقرب فالقرب وقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف يا عباس عم النبى يا صفية عمة رسول الله إنى لا أملك لكم من الله شيئا واخفض جناحك وألن جانبك وتواضع وأصله ان الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب لمن اتبعك من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم فان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على العزيز الرحيم على الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من إذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله وقال الجنيدر رضى الله عنه التوكل ان تقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه فان حاجتك إليه في الدارين فتوكل مدنى وشامى عطف على فقل أو فلا تدع الذى يراك حين تقوم متهجدا وتقلبك أى ويرى

وإنه لتنزيل رب العالمين (192) نزل به الروح الأمين (193) على قلبك لتكون من المنذرين (194) بلسان عربي مبين (195) وإنه لفي زبر الأولين (196) أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (197) ولو نزلناه على بعض الأعجمين (198) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (199) كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (200) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (201) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (202) فيقولوا هل نحن منظرون (203) أفبعذابنا يستعجلون (204) أفرأيت إن متعناهم سنين (205) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (206) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون (207) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (208) ذكرى وما كنا ظالمين (209) وما تنزلت به الشياطين (210) وما ينبغي

لهم وما يستطيعون (211) إنهم عن السمع لمعزولون (212) فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (213) وأنذر عشيرتك الأقربين (214) واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (215) فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون (216) وتوكل على العزيز الرحيم (217) الذي يراك حين تقوم (218) وتقلبك في الساجدين (219) إنه هو السميع العليم (220) هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (221) تنزل على كل أفاك أثيم (222) يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (223) والشعراء يتبعهم الغاوون (224)

الشعراء 224 - 219
فقلبك في الساجدين فى المصلين أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون وليعلم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فىالساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة هل تجد الصلاة بالجماعة فىالقرآن فقال لا يحضرنى فتلاله هذه الآية إنه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله هون عليه معاناة مشاق العبادات حيث أخبر برؤيته له إذ لا مشقة على من يعلم أنه يعمل بمرأى مولاه وهو كقوله ... ... بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى
ونزل جوابا لقول المشركين ان الشياطين تلقى السمع على محمد صلى الله عليه وسلم هل أنبئكم أي هل أخبركم ايها المشركون على من تنزل الشياطين ثم نبأ فقال تنزل على كل أفاك أثيم مرتكب للآثام وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح وطليحة ومسيلمة ومحمد صلى الله عليه وسلم يشتم الافاكين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يستمعون إلى الملأ الأعلى فيحفظون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به إلى أوليائهم ويلقون حال أي تنزل ملقين السمع أو صفة لكل افاك لأنه في معنى الجمع فيكون في محل الجزاء أو استئناف فلا يكون له محل كأنه قيل لم تنزل على الاكين فقيل يفعلون كيت وكيت وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أي

المسموع من الملائكة وقيل الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين ويتلقون وحيهم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والافاك الذي يكثر الافك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالافك فأراد إن هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه وعن الحسن وكلهم وإنما فرق بين وإنه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وهن أخوات لأنه إذا فرق بينهن بآيات ليست منهن ثم رجع إليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما إذا حدثت حديثا وفي صدرك اهتمام بشيء فتعيد ذكره ولا تنفك عن الرجوع إليه ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد ص - واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم والشعراء مبتدأ خبره يتبعهم الغاوون أي لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الاعراض والقدح في الانسان ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم إلا

ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (225) وأنهم يقولون ما لا يفعلون (226) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (227)

الشعراء 227 - 225
الغاوون أي السفهاء أو الراوون أو الشياطين أو المشركون قال الزجاج إذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون يتبعهم نافع ألم تر أنهم في كل واد من الكلام يهيمون خبر أن أي في كل فن من الكذب يتحدثون أو في كل لغو وباطل يخوضون والهائم الذاهب على وجه لا مقصد له وهو تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأبخلهم على حاتم عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك ... سمع قوله ... فبتن بجانبي مصرعات ... وبت أفض أغلاق الختام فقال وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عني الحد بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون حيث وصفهم بالكذب والخلف في الوعد ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله إلا الذي آمنوا وعملوا

الصالحات كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضي الله عنهم وذكروا الله كثيرا أي كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والأدب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الأمة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة لكنه بالحضور وانتصروا وهجوا من بعد ما ظلموا هجوا أي ردوا هجاء من هجا رسول الله ص - والمسلمين وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله ص - وهجاه وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان وقل وروح القدس معك ختم السورة بما يقطع أكباد المتدبرين وهو قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلافه وقوله أي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله تعالى عنه حين عهد إليه وكان السلف يتواعظو بها قال ابن عطاء سيعلم المعرض عنا ما الذي فاته منا وأي منصوب ينقلبون على المصدر لا بيعلم لأن أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها أي يتقلبون أي الانقلاب

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين (1) هدى وبشرى للمؤمنين (2) الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون (3) إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (4) أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون (5)

النمل 5 - 1
سورة النمل
سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
صس تلك آيات القرآن وكتاب مبين أي آيات كتاب مبين وتلك إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين اللوح وآياته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبين للناظرين فيه آياته أو القرآن وآياته أنه يبين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى نحو هذا فعل السخي والجواد ونكر الكتاب

ليكون أفخم له وقيل إنما نكر الكتاب هنا وعرفه في الحجر وعرف القرآن هنا ونكرة ثم لأن القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ووصفان له لأنه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهوالوصف هدى وبشرى في محل النصب على الحال من آيات أي هداية وبشارة فالعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة أو الجر على أنه بدل من كتاب أو صفة له أو الرفع على هي هدى وبشرى أو علي البدل من آيات أو على أن يكون خبرا بعد خبر لتلك أي تلك آيات وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع الخلق وبشرى للمؤمنين خاصة الذين يقيمون الصلاة يديمون على فرائضها وسننها ويؤتون الزكوة يؤدون زكاة أموالهم وهم بالآخرة هم يوقنون من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده وهو استئناف كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإتياء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه أنه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناه وما يوقن بالآخرة حتى الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الأيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم يخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا كما قال افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فهم يعمهون يترددون في ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق أؤلئك الذين لهم سوء العذاب القتل والأسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الأعمال وهم في الآخرة هم الأخسرون أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم

وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم (6) إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون (7) فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين (8) يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم (9) وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون (10)

النمل 9 - 6
فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله وإنك لتلقى القرآن لتؤتاه

وتلقنه من لدن حكيم عليم من عند أي حكيم وأي عليم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه إذ منصوب باذكر كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام قال موسى لأهله لزوجته ومن معه عند مسير ممن مدين إلى مصر أمكثوا إني آنست أبصرت نارا سآتيكم منها بخبر عن حال الطريق لأنه كان قد ضله أو آيتكم بشهاب بالتنوين كوفي أي شعلة مضيئة قبس نار مقبوسة بدل أو صفة وغيرهم بشهاب قبس على الإضافة لأنه يكون قبسا وغير قبس ولا تدافع بين قوله سآتيكم هنا ولعلى آتيكم في القصص مع أن أحدهما زج والآخر تيقن لأن الراجي إذا قوي رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة ومجيئه بسين التسويف عدة لأهله أنه يأتيهم به وأن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة وبأو لأنه بني الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجته جميعا لم يعد واحدة منها أما هداية الطريق وأما اقتباس النار ولم يدر أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين وهما عز الدنيا والآخرة واختلاف الألفاظ في هاتين الصورتين والقصة واحدة دليل عن جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير لفظ التزوج لعلكم تصطلون تستدفئون بالنار من البرد الذي أصابكم والطاء بدل من تاء افتعل لأجل الصاد فلما جاءها أي النار التي أبصرها نودى موسى أن بورك مخففة من الثقيلة وتقديره نودى بأن بورك والضمير ضمير الشان وجاز ذلك من غير عوض وإن منعه الزمخشري لأن قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في أحكام كثيرة ومفسرة لأن في النداء معنى القول أي قيل له بورك أي قدس أو جعل فيه البركة والخير من في النار ومن حولها أي بورك من في مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها أي موسى لحدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه وسبحان الله رب العالمين هو من جملة ما نودي فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره يا موسى إنه أنا العزيز الحكيم الضمير في أنه للشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر العزيز الحكيم صفتان للخبر أو يرجع إلى ما دل عليه ماقبله أي أن مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما أراد أن يظهر على يده من المعجزات وألق عصاك لتعلم معجزتك فتأنس بها وهو عطف على بورك

إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم (11) وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين (12) فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين (13) وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (14)

النمل 14 - 10
لأن المعنى نودى أن بورك من في النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له ألق عصاك ويدل عليه ما ذكر في سورة القصص وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى إني علي تكرير حرف التفسير فلما رآها تهتز تتحرك حال من الهاء في رآها كأنها جان حية صغيرة حال من الضمير في تهتز ولى موسى مدبرا أدبر عنها وجعلها تلى ظهره خوفا من ثوب الحية عليه ولم يعقب ولم يلتفت أو لم يرجع يقال قد عقب فلان إذا رجع يقاتل بعد أن ولى فنودى يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون أي لا يخاف عندي المرسلون حال خطابي اياهم أو لا يخاف لدى المرسلون من غيري إلا من ظلم أي لكن من ظلم من غيرهم لأن الأنبياء لا يظلمون أو لكن من ظلم منهم من زل من المرسلين فجاء غير ما أذنت له مما يجوز على الأنبياء كما فرط آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام ثم بدل حسنا أي اتبع توبة بعد سوء زلة فإني غفور رحيم أقبل توبته وأغفر زلته وأرحمه كم فاحقق أمنيته وكأنه تعريض بما قال موسى حين قتل القبطي رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وأدخل يدك في جيبك جيب قميصك وأخرجها تخرج بيضاء نيرة تغلب نور الشمس من غير سوء برص وبيضاء ومن غير سوء حالان في تسع آيات كلام مستأنف وفي يتعلق بمحذوف أي اذهب في تسع آيات أو وألق عصاك وادخل يدك في جملة تسع آيات إلى فرعون وقومه إلى يتعلق بمحذوف أي مرسلا إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقسن خارجين عن أمر الله كافرين فلما جاءتهم آياتنا أي معجزاتنا مبصرة حال أي ظاهرة بينة جعل الأبصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لملابستهم إياها بالنظر والتفكر فيها أو جعلت كأنها تبصر فتهدي لأن الأعمى لا يقدر على الإهتداء فضلا أن يهدي غيره ومنه قولهم كلمة عمياء وعوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي قالوا هذا سحر مبين ظاهر لمن نأمله وقد قوبل بين

المبصرة والمبين وجحدوا بها قيل الجحود لا يكون إلا من علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لأن الجحود هو الإنكار وقد يكون الإنكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا كذا ذكر في الشرح التأويلات وذكر في الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى والواو في واستيقنتها للحال وقد بعدها مضمرة والأستيقان أبلغ من الإيقان أنفسهم

ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (15) وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين (16)

النمل 16 - 14
أي جحدوا بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم ظلما حال من الضمير في جحدوا وأي ظلم افحش من ظلم من استيقن أنها آيات من عند الله ثم سماها سحرا بينا وعلوا ترفعا عن الإيمان بما جاء به موسى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الإغراق هنا والأحراق ثمة ولقد آتينا أعطينا داوود وسليمان علما طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا والمراد علم الدين والحكم وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين والآيات حجة لنا على المعتزلة في ترك الأصلح وهنا محذوف ليصح عطف الواو عليه ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك أعطيته فشكر وتقديره آتيناهما علما فعملا به وعلماء وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأن من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباده وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله على ما أتوه وأن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قوله عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر رضي الله عنه وورث سليمان داوود ورث

من النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر قالوا أوتى النبوة مثل أبيه فكأنه ورثه وإلا فالنبوة لا تورث وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير تشهيرا لنعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منهم كما يفهم بعضها من بعض روى أنه صاحت فاخته فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رحمة فقال تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري فأخبر انه يقول سبحان ربي الأعلى وقال الحدأة تقول كل شيء هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت سلم والديك يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس وأوتينا من كل شيء المراد به كثرة ما أوتى كما تقول فلان يعلم كل شيء ومثله وأوتيت من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين

وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون (17) حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون (18)

النمل 18 - 17
قوله وارد على سبيل الشكر كقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي اقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخر أو النون في علمنا وأوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على الحال التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وحشر وجمع لسليمان وجنوده من الجن والإنس الطير روى أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ وعشرون للجن وخمسة وعشرون للأنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية قد نسجت له الجن بساطا من ذهب وإبريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب وفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع كليه حر الشمس وترفع

ريح الصبا فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم أحد بشيء ألا ألقته الريح في سمعك فيحكي أنه مر بحراث فقال لقد أوتى آل دواد ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال أني جئت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه قال لتسبيحه واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم أي يوقف سلاف العسكر حتى بلحقهم التوالي ليكونوا مجتمعين وذلك للكثره العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما يوزع السلطان أكثر مما يزع القرآن حتى إذا اتوا على واد النمل أي ساروا حتى إذا بلغوا وادي النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدى بعلى لأن اتيانهم كان من فوق فأنى بحرف الاستعلاء قالت نملة عرجاء تسمى طاخية أو منذرة وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فسأله ابو حنيفة رضي الله عنه وهو شاب عن نملة سليمان اكانت ذكرا أم أنثى فافحم فقال أبو حنيفة رضي الله عنه كانت أنثى فقيل له بماذا عرفت فقال بقوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ولم يقل ادخلن لأنه لما جعلها قائلة والنمل مقولاتهم كما يكون في أولى العقل أجرى خطابهن مجرى خطابهم لا يحطمنكم لا يكسر نكم والحطم الكسر وهو نهى مستأنف وهو في الظاهر نهى لسليمان عن الحطم وفي الحقيقة نهى لهن عن البروز والوقوف على طريقة لا أرينك ههنا أي لا تحضر هذا الموضع وقيل هو جواب الأمر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لأنه من ضرورات الشعر سليمان وجنوده قيل أراد يحطمنكم جنود سليمان

فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (19) وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين (20) لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين (21)

النمل 21 - 19
فجاء بما هو ابلغ وهم لا يشعرون لا يعلمون بمكانكم أي لو شعروا لم يفعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا من حذرها واهتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل او فرحا لظهور عدله وضاحكا حال مؤكدة لأن تبسم بمعنى ضحك وأكثر ضحك الأنبياء التبسم كذا قاله الزجاج وقال رب أوزعني ألهمني وحقيقة كفنى عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك أن أشكر نعمتك التي أنعمت على من النبوة والملك والعلم وعلى والدي لأن الأنعام على الوالدين إنعام على الولد وأن أعمل صالحا ترضاه في بقية عمري وأدخلني برحمتك وادخلني الجنة برحمتك لا بصالح عملي إذلا يدخل يدخل الجنة أحد إلا برحمته كما جاء في الحديث في عبادك الصالحين أي في زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة وتفقد الطير فقال مالى مكى وعلى وعاصم وغيرهم بسكون الياء والتفقد طلب ما غاب عنك لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين أم بمعنى بل والمعنى أنه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالى لا أراه على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غيرذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر أن سليمان عليه السلام لما حج خرج الى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فتستخرج الشياطين الماء فتفقده لذلك وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فإذا هو مقبل فقصده فناشده الله فتركه فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض وقال يا نبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه لأعذبنه عذابا شديدا بنتف ريشه والقائه في الشمس أو بالتفريق بينه وبين ألغه أو بإلزامه خدمة اقرانه أو بالحبس مع أضداده وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الأضداد أو بإيداعه القفص أو بطرحه بين يدي النمل لياكله وحل له تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للأكل

وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير لم يتم التسخير إلا بالتأديب والسياسة أو لأذبحنه أو ليأتيني بالنون الثقيلة ليشاكل قوله لأعذبنه وحذف

فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين (22) إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم (23) وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون (24)

النمل 24 - 21
نون العماد للتخفيف ليأتيني بنونين مكي الأولى للتأكيد والثانية للعماد بسلطان مبين بحجة له فيها عذر ظاهر على غيبته والأشكال أنه حلف على أحد ثلاثة أشياء اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدهد وهو مشكل لأنها من أين درى أنه يأتي بسلطان حتى قال والله ليأتيني بسلطان وجوابه أن معنى كلامه ليكونن أحد الأمور يعني إن كان الإتيان بسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية فمكث الهدهد بعد تفقد سليمان أياه وبضم الكاف غير عاصم وسهل ويعقوب وهما لغتان غير بعيد أي مكثا غير طويل أو غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان فلما رجع سأله عما لقي في غيبته فقال احطت علمت شيئا من جميع جهاته بما لم تحط به ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما اوتى من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له في علمه وفيه دليل بطلان قوله الرافضة أن الإمام لا يخفي عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه وجئتك من سبإ غير منصرف أبو عمرو وجعله اسما للقبيلة أو المدينة وغيره بالتنوين جعله اسما للحي أو الأب الأكبر بنبأ يقين النبأ الخبر الذي له شأن وقوله من سبأ بنبأ من محاسن الكلام
ويسمىالبديع وقد حسن وبدع لفظا ومعنى ههنا ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال إني وجدت إمرأة هي بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس

والضمير في تملكم راجع إلى سبأ على تأويل القوم أو أهل المدينة وأوتيت حال وقد مقدرة من كل شيء من أسباب الدنيا ما لا يليق مجالها ولها عرش سرير عظيم كبير قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا وطوله في الهواء ثمانون ذراعا وكان من ذهب وفضة وكان مرصع بأنواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك وقد أخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رأها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أي سبيل التوحيد فهم لا يهتدون إلى الحق ولا يبعد من الهدهد التهدي إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس إلهاما من الله له الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لايكاد

ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون (25) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم (26) قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (27) اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون (28) قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم (29) إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم (30) ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين (31)

النمل 29 - 25
العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ألا يسجدوا بالتشديد أي فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع أن وادغمت النون في اللام ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا وبالتخفيف يزيد وعلى تقديره ألا يا هؤلاء اسجدوا فألا للتنبيه ويا حرف نداء ومناداه محدوف فمن شدد لم يقف إلا على العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ ألا يسجدوا أو وقف على إلا ياتم أبتداء اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا بخلاف ما يقوله الزجاج أنه لا يجب السجود مع التشديد لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح أو ذم لتاركها واحدى القراءتين أمر والأخرى ذم للتارك لله الذي يخرج الخبء سمي المخبوء

بالمصدر في السموات والأرض قتادة خبء السماء المطر وخبء الأرض النبات ويعلم ما تخفون وما تعلنون وبالتاء فيهما على حفص الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم وصف الهدهد عرش الله العظيم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالأضافة إلى عروش ابناء جنسها من الملوك إلى ههنا كلام الهدهد فلما فرغ من كلامه قال سليمان للهدهد سننظر من النظر الذي هو التأمل اصدقت فيما أخبرت أم كنت من الكاذبين وهذا أبلغ من أم كذبت لأنه إذا كان معروفا بالإنخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على واتوني مسلمين وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد إذهب بكتابي هذا فألقه بسكون الهاء تخفيفا أبو عمرو وعاصم وحمزة ويختلسها كسر التدل الكسرة على الياء المحذوفة يزيد وقالون ويعقوب قالفهى باثبات الياء غيرهم إليهم إلى بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها في قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس وبني الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك ثم تول عنهم تنح عنهم إلى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يقولونه بمسمع عنك فانظر ماذا يرجعون ما الذي يرونه من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهي راقدة وتوارى في الكوة فانتبهت فزعة أو أتاها الجنود حواليها فرفرف ساعة وألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة فلما رأت الخاتم قالت لقومها خاضعة خائفة يا أيها الملأ إني وبفتح الياء مدني القبالى كتاب كريم حسن مضمومه وما فيه مختوم قال عليه الصلاة والسلام كرم الكتاب ختمه وقبل من كتب أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به أو مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم أو لأنه

قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون (32) قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين (33) قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (34)

النمل 35 - 30
من عند ملك كريم إنه سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم هو تبيين لما ألقى إليها كأنها لما قالت أني ألقى إلى كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت أنه من سليمان وانه كيت وكيت وأن في ألا تعلوا لا تترفعوا على ولا تتكبروا كما تفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق الملأ منهم أن امشوا يعني أي امشوا وائتوني مسلمين مؤمنين أو منقادين وكتب الأنبياء مبينة على الأيجاز والاختصار قالت يا أيها الملؤ أفتوني في أمري اشيروا علي في الأمر الذي نزل بي والفتوى والجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد هنا بالتقوى الإشارة عليها بما عندهم من الرأي وقصدها بالرجوع إلى استشارتهم تطبيب أنفسهم ليمالئوها ويقوموا معها ما كنت قاطعة أمرا فاصلة أو ممضية حكما حتى تشهدون بكسر النون والفتح لحن لأن النون إنما تفتح في موضع الرفع وهذا في موضع النصب وأصله تشهدونني وحذفت النون الأولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها بالياء في الوصل والوقف يعقوب أي تحضروني أو تشيروني أو تشهدوا أنه صواب أي لا ابت الأمر إلا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف قالوا مجيبين لها نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد أرادوا بالقوة قوة الأجساد والآلات وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين أي موكول إليك ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري مذا ترين نتبع رايك فلما أحست منهم الميل الى المحاربة مالت الى المصالحة ورتبت الجواب فزيفت أولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه حيث فمنتظرة بم أي بما لأن الألف

وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون (35) فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون (36) ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون (37)

النمل 36

تحذف مع حرف الجر في الاستفهام يرجع المرسلون بقبولها أم بردها لأنها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا فبلها وانصرف وان كان نبيا ردها ولم يرض منا إلا أن نتبعه على دينه فبعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقافية درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رسلا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله تعالى بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا في نسخة الهدايا وقالت فيه أن كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف وأخبر بما في الحق واثقب الدرة ثقبا واسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر أن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وإن رأيته بشاشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد وأخبر سليمان الخبر كله فأمر سليمان الجن فضربوا لبنات الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنات وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطت الشياطين صفوفا فراسخ والأنس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم سليمان بوجه طلق فأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأمر الأرضة فاخذت شعره ونفذت في الدرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم فلما جاء رسولها المنذر بن عمرو سليمان قال أتمدونني بمال بنونين واثبات الياء في الوصل والوقف مكي وسهل وافقهما مدني وأبو عمرو في الوصل أتمدوني حمزة ويعقوب في الحالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسل فما آتاني الله من النبوة والملك والنعمة وبفتح الياء مدني وأبو عمرو وحفص خير مما آتاكم من زخارف الدنيا بل أنتم بهديتكم تفرحون الهدية اسم المهدي كما ان العطية اسم المعطي

قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (38) قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين (39) قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (40)

النمل 40 - 37
فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو اهديت إليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياةالدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتكم وحالى خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء ولا افرح به إلا بالأيمان وترك المجوسيةوالفرق بين قولك أتمدونني بمال وأنا أغنى منكم وبين أن تقوله بالهاء إني إذا قلته بالواو وجعلت مخاطبي عالما بزيادتي في الغنى وهو مع ذلك يمدني بمال وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه وعليه ورد فما آتاني الله ووجه الاضراب أنه لما أنكر عليهم الامداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا لا فرح إلا أن يهدي إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ارجع إليهم خطاب للرسول أو الهدهد محملا كتابا آخر إليهم ائت بلقيس وقومها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون أن يقابلوهم ولنخرجنهم منها من سبأ أذلة وهم صاغرون الذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والضغار أن يقعوا في أسر واستبعاد فلما رجع إليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبي وما لنا به طاقة ثم جعلت عرشها في آخر سبعة أبيات وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه وبعثت إلى سليمان قادمة إليك لأنظر ما الذي تدعو إليه وشخصت إليه في اثني عشر ألف قبل تحت كل قيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أراد أن يريها

بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان أو أراد أن ياخذه قبل ان تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أن أخذ ما لها وهذا بعيد عند أهل التحقيق أو أراد أن يؤتي به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها قال عفريت من الجن وهو الخبيث المارد وإسمه ذكوان أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك مجلس حكمك وقضائك وإنى عليه على حمله لقوي أمين آتي به كما هو لا آخذ منه شيئا ولا أبدله فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من هذا قال الذي عنده علم من الكتاب أي ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفريت أو

قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون (41) فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين (42)

النمل 42 - 40
جبريل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ أو الخضر أو آصف بن برخيا كاتب سليمان وهو الأصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجاب وهو يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أو يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله ألا أنت وقيل له علم بمجاري الغيوب ألهاما أنا آتيك به بالعرش وآتيك في الموضعين يجوز أن يكون فعلا أو اسم فاعل ومعنى قوله قبل أن يرتد إليك طرفك أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمين فدعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرتد طرفه فلما رآه أي العرش مستقرا عنده ثابتا لديه غير مضطرب قال هذا أي حصول مرادي وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف من فضل ربي على واحسانه إلى بلا استحقاق منى بل هو فضل خال من العوض صاف عن الغرض ليبلوني أأشكر ليمتحنني أأشكر أنعامه أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد

وترتبط به النعمة فالشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودةوفي كلام بعضهم أن كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله تعالى متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا أي لم تشكر لله نعمة ومن كفر بترك الشكر على النعمة فإن ربي غني عن الشكر كريم بالإنعام على من يكفر نعمته قال الواسطي ما كان منا الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو الينا وله المنة والفضل علينا قال نكروا لها عرشها غيروا أي اجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله ننظر بالجزم على الجواب أتهتدي إلى معرفة عرشها أو الجواب الصواب إذا سئلت عنه أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت بلقيس قيل أهكذا عرشك ها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم اعارة ولم يقل اهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كأنه هو فأجابت أحسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للأمرين أو لما شبهوا عليها بقولهم أهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كأنه هو مع أنها علمت أنه عرشها

وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين (43) قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (44) ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون (45)

النمل 45 - 42
وأوتينا العلم من قبلها من كلام بلقيس أي أوتينا العلم بقدرة الله تعالى وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبل هذه المعجزة أي احضار العرش أو من قبل هذه الحالة وكنا مسلمين منقادين لك مطيعين لأمرك ومن كلام سليمان وملئه عطفوا على كلامها قولهم وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائفة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين خاضعين وصدهاما كانت تعبد من دون الله متصل بكلام سليمان أي وصدها عن العلم بما علمناه أو عن

التقدم إلى الإسلام عبادة للشمس ونشؤها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفر بقوله أنها كانت من قوم كافرين أو كلام مبتدا أي قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل او صدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل قيل لها ادخلي الصرح أي القصر أو صحن الدار فلما رأته حسبته لجة ماء عظيما وكشفت عن ساقها ساقيها بالهمزة مكي روى أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحقيقا لنبوته وقيل ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم لأنهم كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجمع فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد فقالوا له إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما إلا أنها شعراء فصرف بصره قال لها إنه صرح ممرد مملس مستو ومنه الأمرد من قوارير من الزجاج وأراد سليمان تزوجها فكره شعرها فعملت لها الشياطين النورة فأزالته فنكحها سليمان وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له قالت رب إني ظلمت نفسي بعبادة الشمس وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين قال المحققون لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر إلى ساقيها وهي أجنبية لا يصح القول بمثله ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم في النسب صالحا بدل أن اعبدوا الله بكسر النون في الوصل عاصم وحمزة وبصرى وبضم

قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون (46) قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون (47) وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون (48) قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون (49)

النون غيرهم اقباعا للباء والمعنى بأن اعبدوا الله وحده فإذا للمفاجأة هم مبتدأ فريقان خبر يختصمون صفة وهي العامل في إذا والمعنى فإذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معي وهو مبين في قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنما بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا أنا بالذي آمنتم به كافرون وقال الفريق الكافر يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعذاب الذي توعدون قبل الحسنة قبل التوبة لولا هلا تستغفرون الله تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والإيمان قبل نزول العذاب بكم لعلكم ترحمون بالإجابة قالوا أطيرنا بك تشاءمنا بك لأنهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه إلى مجيئه والأصل تطيرنا وقريء به فادغمت التاء في الطاء وزيدت الألف لسكون الطاء وبمن معك من المؤمنين قال طائركم عند الله أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وسركم عند الله وهو قدره وقسمته أو عملكم مكتوب عند الله فإنما نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه وأصله أن المسافر إذا مر بطائر يزجره فان مرسانحا تيامن وإذا مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة بل أنتم قوم تفتنون تختبرون أو تعذبون بذنبكم وكان في المدينة مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط هو جمع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به فكانه قيل تسعة أنفس وهو من الثلاثة إلى العشر وعن أبي دؤاد رأسهم قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا أبناء أشرافهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون يعني ان شأنهم الافساد البحت لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معايب الناس ولا يسترون عوراتهم قالوا تقاسموا بالله تحالفوا خبر في محل الحال باضمار قد أي قالوا متقاسمين أو أمر أي أمر بعضهم بعضا بالقسم لنبيتنه لنقتلنه بياتا أي ليلا وأهله ولده وتبعه ثم لنقولن لوليه لولى

ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون (50) فانظر كيف كان

عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين (51) فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون (52) وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (53) ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون (54) أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون (55)

النمل 55 - 49
دمه لتبيتنه بالتاء وبضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء وضم اللام حمزة وعلى ما شهدنا ما حضرنا مهلك أهله حفص مهلك أبو بكر وحماد والمفضل من هلك فالأولى موضع الهلاك والثاني المصدر ملك غيرهم من أهلك وهو الاهلاك أو مكان الاهلاك أي لم نتعرض لأهله فكيف تعرضنا له أو ما حضرنا موضع هلاكه فكيف تولیناه وإنا لصادقون فيما ذكرنا ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ومكر الله أهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثالث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذ جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلامنهم في مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم بفتح الألف كفى وسهل وبكسرها غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على أنه بدل من العاقبةأو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم أو نصبه على معنى لانا أو على أنه خبر كان أي فكان عاقبة مكرهم الدمار وقومهم أجمعين بالصيحة فتلك بيوتهم خاوية ساقطة منهدمة من خوى النجم إذا سقط أو خالية من الخواء وهي حال عمل فيها مادل عليه تلك بما ظلموا بظلمهم إن في ذلك فيما فعل بثمود لآية لقوم يعملون قدرتنا فيتعظون وانجينا الذين آمنوا بصالح وكانوا يتقون ترك أو امره وكانوا أربعة آلاف نجوا مع صالح من العذاب ولوط إذ قال واذكر لوطا وإذ بدل من لوطا أي ذكروا وقت قول لوط لقومه اتأتون الفاحشة أي اتيان الذكور وأنتم تبصرون تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها من بصر القلب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لأنهم كانوا يركبونها في

ناديهم معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض مجانة وأنهما كافي المعصية أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال أئنكم بهمزتين كوفى وشامى لتأتون الرجال شهوة للشهوة من دون النساء أي أن الله تعالى إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للأنثى فهي

فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون (56) فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين (57) وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين (58) قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون (59) أم من خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون (60)

النمل 60 - 55
مضادة لله في حكمته بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو اريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها وقد اجمتع الخطاب والغيبة في قوله بل انتم قوم تجهلون وبل وأنتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لأنه أقوى إذ الأصل أن يكون الكلام بين الحاضرين فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط أي لوطا ومتبعيه فخبر كان جوابه واسمه أن قالوا من قريتكم أنهم أناس يتطهرون يتنزهون عن القاذورات ينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا أنكارهم قيل هو استهزاء كقوله أنك لأنت الحكيم الرشيد فانجيناه فخلصناه من العذاب الواقع بالقوم وأهله إلا امرأته قدرناها بالتشديد سوى حماد وأبي بكر أي قدرنا كونها من الغابرين من الباقين في العذاب وأمطرنا عليهم مطرا حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها فساء مطر المنذرين الذين لم يقبلوالانذار قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى أمر رسوله محمدا ص - بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئه لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء وهو تعليم لكل متكلم في كل أمر ذي بال بأن يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما أو هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على

من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم آلله خير أما يشركون بالياء بصرى وعاصم ولا خير فيما أشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شيء وإنما هو الزام لهم وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء إلا لداع يدعوه إلى ايثارة من زيادة خبر ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخبر ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاةوالسلام إذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله فقال أمن خلق السموات والأرض والفرق بين أم و أم في أمله يشركون وأمن خلق السموات ان تلك متصله إذا المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والأرض خير تقريرا لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وأنزل لكم من السماء ماء مطرا فأنبتنا صرف

أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (61) أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون (62) أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون (63) أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (64)

النمل 64 - 60
الكلام عن الغيبة ألى التكلم تأكيدا لمعنى اختصاص الفعل بذاته وإيذانا بأن أنبات الحدائق المختلفة والأصناف والألوان والطعوم والأشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه ألا هو وحده به بالماء حدائق بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الأحداق وهو الإحاطة ذات ولم يقل ذوات لأن المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت بهجة حسن لأن الناظر يبتهج به ثم رشح معنى

الإختصاص بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الإنبغاء أراد أن تأتي ذلك محال من غيره أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل شريكا له بل هم قوم يعدلون به غيره أو يعدلون ن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم أمن جعل الآرض وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للأستقرار عليها وجعل خلالها ظرف أي وسطها وهو المفعول الثاني والأول أنهارا وبين البحرين مثله وجعل لها للأرض رواسي جبالا تمنعها عن الحركة وجعل بين البحرين العذب والمالح حاجزا مانعا أن يختلطا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون التوحيد فلا يؤمنون أمن يجيب المضطر إذا دعاه الأضطرار إفتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة إلى اللجا يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقرأ ونازلة من نوازل الدهر الى اللجأ والتضرع الى الله والمذنب أو المذنب إذا استغفر أو المظلوم إذا دعا أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر ويكشف السوء الضر أو الجور ويجعلكم خلفاء الأرض أي فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط أإله مع الله قليلا ما تذكرون وبالياء أبو عمر وبالتخفيف حمزة وعلي وحفص وما مزيدة أي تذكرون تذكرا قليلا أمن يهديكم يرشدكم بالنجوم في ظلمات البر والبحر ليلا وبعلامات في الأرض نهارا ومن يرسل الرياح الريح مكى وحمزة وعلى بشرا من البشارة وقد مر في الأعراف بين يدي رحمته قدام المطر أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ينشأ الخلق ثم يعيده وإنما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للإعادة

قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون (65) بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون (66)

النمل 66 - 64
لأنه ازيحت عليهم بالمكين من المعرفة والإقرار فلم يبقى لهم عذر في الانكار ومن يرزقكم من السماء أي المطر والأرض أي ومن الآرض والنبات أإله مع الله قل هاتوا برهانكم حجتكم على اشراككم

أن كنتم صادقين في دعواكم أن مع الله ألها أخر قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله من فاعل يعلم والغيب وهو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله بدل من من والمعنى لا يعلم أحد الغيب إلا الله نعم إن الله تعالى يتعالى عن أن يكون ممن في السموات والأرض ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع أي مجرى المتصل ويجزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل ويقولون ما في الدار أحد إلا حمار وقالت عائشة رضي الله عنها من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله والفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله ص - عن وقت الساعة وما يشعرون وما يعلمون أيان متى يبعثون ينشرون بل أدرك مكي وبصرى ويزيد والمفضل أي انتهى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت نضجا بل أدرك عن الأعشى افتعل بل ادرك غيرهم استحكم وأصله تدارك فأدغمت التاء في الدال وزيد ألف الوصل ليمكن التكلم بها علمهم في الآخرة أي في شأن الآخرة ومعناها والمعنى إن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون والأضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم أو لا بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والإزالة مستطاعة ثم بما هو أسوء حالا وهو العمى وقد جعل الآخرة مبتدأ عماهم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم من التدبر والتفكر ووجه ملاءمة مضمون هذه الأية وهو وصف المشركين بأنكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وأن العباد لا علم لهم بشيء منه أنه لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذي لابد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجاز أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول لأجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعملوا عن اثباته الذي الطريق إلى علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ويجوز أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفنى من قولك أدركت النمرة لأن

لك غايتها التي عندها تعدم

وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون (67) لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين (68) قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين (69) ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون (70) ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (71) قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون (72) وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون (73)

النمل 74 - 67
وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم في الآخرة وتدارك من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وءاباؤنا أئنا لمخرجون من قبورنا أحياء وتقرير حرف الاستفهام في أئذا وائنا في قراءة عاصم وحمزة وخلف انكار بعد انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والعامل فيه إذا ما دل عليه المخرجون وهو نخرج لأن اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الإستفهام أو أن أو لام الإبتداء لا يعمل فيما قبله فكيف إذا اجتمعن والضمير في إنا لهم ولآبائهم لأن كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب وآباؤنا عطف على الضمير في كنا لأن المفعول جرى مجرى التوكيد لقد وعدنا هذا أي البعث نحن وآباؤنا من قبل من قبل محمد ص - قدم هنا هذا على نحن وآباؤنا وفي المؤمنون نحن وآناؤنا على هذا البدل على أن المقصود بالذكر هو البعث هنا وثمت المبعوثون إن هذا إلا أساطير الأولين ما هذا إلا أحاديثهم وأكاذيبهم قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين أي آخر أمر الكافرين في ذكر الإجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيآتهم أغرقوا ولا تحزن عليهم لأجل أنهم لم يتبعوك ولو يسلموا فيسلموا ولا تكن في ضيق في حرج صدر ومما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك فإن الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح وهو قراءة غير ابن كثير وبالكسر وهو قراءته ويقولون متى هذا الوعد أي وعد العذاب إن كنتم صادقين أن العذاب نازل بالمكذب

قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود وقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنالكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وأن ربك لذو فضل أي أفضال على الناس بترك المعاجلة بالعذاب ولكن أكثرهم لا يشكرون أي أكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم وإن ربك ليعلم ما تكن تخفي

وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون (74) وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين (75) إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون (76) وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين (77) إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم (78) فتوكل على الله إنك على الحق المبين (79) إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين (80) وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (81)

النمل 81 - 74
صدورهم وما يعلنون يظهرون من القول فليس تأخير العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر أو أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ص - ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقريء تكن يقال كننت الشيء وأكننته إذا سترته وأخفيته وما من غائبة في السماء والآرض إلا في كتاب مبين سمي الشيء الذي يغيب ويخفي غائبة وخافية والتاء فيمها كالتاء في العاقبة ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالرواية كأنه قال وما من شيء شديد الغيبوبة إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أي يبين لهم أكثر الذي هم فيه يختلفون فإنهم إختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان

ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى وإنه وان القرآن لهدى ورحمة للمؤمنين لمن أنصف منهم وآمن أي من بني إسرائيل أو منهم ومن غيرهم إن ربك يقضي بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به بحكمه بعدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمي المحكوم به حكما أو بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفضل بينهم وبين المحقين فتوكل على الله أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين إنك على الحق المبين وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج وهو الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس وبالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحدا أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الى الله تعالى ثم أكد حال الصم بقوله إذا ولوا مدبرين لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن تولى عنه مدبرا كان أبعد عن إدراك صوته ولا يسمع الصم مكي وكذا في الروم وما أنت تهدي العمي وكذا في الروم حمزة إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا أي ما يجدي

وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون (82) ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون (83) حتى إذا جاؤوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون (84) ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون (85) ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (86)

النمل 86 - 81
أسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها فهم مسلمون مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له وإذا وقع القول عليهم سمي معنى القول مؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب وقوعه حصوله

والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم هي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وقيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن إبل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون أي لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين أو تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام أو بأن هذا مؤمن وأن هذا كافر وفتح أن كوفي وسهل على حذف الجار أي تكلمهم بأن وغيرهم كسروا لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول أي تقول الدابة ذلك ويكون المعنى بآيات ربنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال ويوم نحشر من كل أمة فوجا من للتبعيض أي واذكر يوم نجمع من كل أمة من الأمم زمرة ممن يكذب من للتبيين بآياتنا المنزلة على أنبيائنا فهم يوزعون يحبس أولهم في آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة حتى إذا جاؤوا حضروا موقف الحساب والسؤال قال لهم تعالى تهديدا أكذبتم بآياتي المنزلة على رسلي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال كأنه قال أكذبتم بآياتي بادىء الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أم ماذا كنتم تعملون حيث لم تتفكروا فيها فإنكم لم تخلقوا عبثا وقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون أي يغشاهم العذاب الموعد بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والإعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا حال جعل الإبصار للنهار وهو لأهله والتقابل مراعى من حيث المعنى لأن معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون

ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين (87) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون (88) من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون (89) ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم

تعملون (90)

النمل 90 - 87
يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لأن معناه ألم يعلموا أنا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا أن ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وإبتلاء ولابد عند ذلك من ثواب وعقاب فإذا لم يكونا في هذه الدار فلابد من دار أخرى للثواب والعقاب ويوم واذكر يوم ينفخ في الصور وهو قرن أو جمع سورة والنافخ اسرافيل عليه السلام ففزع من في السموات ومن في الأرض اختير فزع على يفزع للأشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون إلا من شاء الله إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا لهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر رضي الله عنه منهم موسى عليه السلام لأنه صعق مرة ومثله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه حمزة وحفص وخلف آتوه غيرهم وأصله آتيوه داخرين حال أي صاغرين ومعنى الإتيان حضورهم الموقف ورجوعهم الى أمره تعالى وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها بفتح السين شامى وحمزة ويزيد وعاصم وبكسرها غيرهم حال من المخاطب جامدة واقفة ممسكة عن الحركة من جمد في مكانه إذا لم يبرح وهي تمر حال من الضمير المنصوب في تحسبها مر السحاب أي مثل مر السحاب زالمعنى إنك إذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد لعظمها وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب إذا ضربته الريح وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش ... بأرعن مثل الطود يحسب ... أنهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج
صنع الله مصدر عمل فيه مادل عليه ممر لأن مرورها كمر السحاب من صنع الله فكأنه قيل صنع الله ذلك صنعا وذكر اسم الله لأنه لم يذكر قبل الذي أتق كل شيء أي أحكم خلقه أنه خبير بما يفعلون مكي بصرى غير سهل وأبو بكر غير يحيى وغيرهم بالتاء أي أنه عالم بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة أي بقوله لا إله إلا الله عند الجمهور فله خير منها أي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى أفضل

ويكون منها في موضع رفع صفة الخبر أي بسببها وهم من فزع كوفي من فزع شديد مفرط الشدة هو خفو النار أو من فزع ما وإن قل وبغير تنوين غيرهم يومئذ كوفي ومدني وبكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيامة آمنون أمن يعدي بالجار وبنفسه كقوله فأمنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة بالشرك فكبت ألقيت وجوههم

إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين (91) وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين (92) وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون (93)

النمل 93 - 90
في النار يقال كببت الرجل ألقيته على وجهه أي ألقوا على رؤوسهم في النار أو عبر عن الجملة بالوجه كما بعبر بالرأس والرقبة عنها أي القوا في النار ويقال لهم تبكيتا عند الكب هل تجزون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك والمعاصي إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة مكة الذي حرمها جعلها حرما آمنا يأمن فيها اللاجىء إليها ولا يختلي خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها وله كل شيء مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين له وأن أتلوا القرآن من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع ما يوحى إليك من ربك أمر رسوله بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين علة ملة الإسلام وأن أتلو القرآن لأعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الإسلام وخص مكة من بين سائر البلاد بأضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأعظمها عنده وأشار إليها بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما فمن اهتدى باتباعه اياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الشركاء عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما أنزل على من الوحي فأنما يهتدي لنفسه فمنفعة اهتدائه راجعا إليه لا إلى ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين أي ومن ضل ولم يتبعني فلا على وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول إلا البلاغ

المبين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته في الآخرة فسيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وما ربك بغافل عما تعملون بالتاء مدني وشامي وحفص ويعقوب خطاب لأهل مكة وبالياء غيرهم أي كل عمل يعملونه فإن الله عالم به غير غافل عنه فالغفة والسهو لا يجوزان عليه

طسم (1) تلك آيات الكتاب المبين (2) نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون (3) إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين (4) ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (5)

القصص 5 - 1
سورة القصص مكية ثمانون وثمان آيات
بسم الله الرحمن الرحيم
طسم تلك آيات الكتاب المبين يقال بأن الشيء وأبان بمعنى واحد ويقال ابنته فأبان لازم ومتعد أي مبين خيره وبركته أو مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والإخلاص والتوحيد نتلوا عليك نقرأ عليك أي يقرؤه جبريل بأمرنا ومفعول نتلوا من نبأ موسى وفوعون أي نتلوا عليك بعض خبرهما بالحق حال أي محقين لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه مؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم إن فرعون جملة مستأنفة كالتفسير للجمل كان قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال إن فرعون علا طغى وجاوز الحد في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسى العبودية في الأرض أي أرض مملكته يعنى مصر وجعل أهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه أو فرقا مختلفة يكرم طائفة ويهين أخرى فأكرم القبطي وأهان الإسرائيلي يستضعف طائفة منهم هم بنو إسرائيل يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم أي يترك البنات أحياء للخدمة وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حمق فرعون فإنه أن صدق الكاهن لم ينفعه

القتل وإن كذب فما معنى القتل ويستضعف حال من الضمير في جعل او صفة لشيعا أو كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف إنه كان من المفسدين أي أن القتل ظلما إنما هو فعل المفسدين إذ لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب ونريد ان نمن نتفضل وهو دليل لنا في مسألة الأصلح وهذه الجملة معطوفة على أن فرعون علا في الأرض لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسير لنبإ موسى وفرعون واقتصاصا له أو حال من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وإرادة اله تعالى كائنة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة قادة يقتدى بهم في الخير

ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (6) وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين (7) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين (8)

القصص 8 - 5
أو قادة إلى الخير أو ولاة وملوكا ونجعلهم الوارثين أي يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن مكن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين لهم في الأرض أي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ويسلطهم وينفذ أمرهم ونرى فرعون وهامان وجنودهما بضم النون ونصب فرعون وما بعده وبالياء ورفع فرعون وما بعده على حمزة وأي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ويرى نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون او رفع على الإستئناف منهم من بني اسرائيل ويتعلق بنرى دون يحذرون لأن الصلة لا تتقدم على الموصول ما كانوا يحذرون الحذر التوقي من الضرر واوحينا إلى أم موسى بالإلهام أو بالرؤيا او بإخبار ملك كما كان لمريم وليس هذا وحي رسالة ولا تكون هي رسولا أن أرضعيه أن بمعنى أي أو مصدرية فإذا خفت عليه من القتل بأن يسمع الجيران صوته فينموا عليه فألقيه في اليم البحر قيل هو نيل مصر ولا تخافي من الغرق والضياع

ولا تحزني بفراقه أنا رادوه إليك بوجه لطيف لتربيته وجاعلوه من المرسلين وفي هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن أن الخوف غم يلحق بالإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما وبشرت برده إليها وجعله من المرسلين وروى أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروى أنها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لأبنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت القابلة جاءت عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور ولم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولد ان أوحي إليها بإلقائه في اليم فألقته في اليم بعد أن أرضعته ثلاثة اشهر فالتقطه آل فرعون أخذه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطخر ليكون لهم عدوا أي ليصير الأمر إلى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا كقولهم للموت ما تلده الوالدة وهي لم تلد لأن يموت ولدها ولكن المصير إلى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون ان هذه لام العاقبة والصيرورة وقال صاحب الكشاف هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لأن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعي الذي بفعل الفاعل القتل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء وحزنا وحزنا على حمزة وهما لغتان كالعدم والعدم

وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون (9) وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (10)

القصص 10 - 8
إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين خاطين بخفيف خاطئين أبو جعفر أي كانوا مذنبين فعاقبهم الله بان ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين في كل شيء فليس

خطؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم وقالت امرات فرعون قرة عين لي ولك روى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فإذا بصبي نوره بين عينيه فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت إلى وجهه فبرأت فقالت الغواة من قومه هو الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وفي الحديث لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقرة خبر مبتدأ محذوف أي قرة ولي ولك صفتان لقرة لا تقتلوه خاطبته خطاب الملوك أو خاطبت الغواة عسى أن ينفعنا فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبرء البرصاء أو نتخذه ولدا أو نتبناه فإنه اهل لأن يكون ولدا للمملوك وهم لا يشعرون حال وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله أن فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنىخطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان وأصبح وصار فؤاد أم موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون إن كادت لتبدي به لتظهر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها قيل لما رأت الأمواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول واابناه وقيل لما سمعت أن فرعون أخذ التابوت لم تشك أنه قتله فكادت تقول واإبناه شفقة عليه وأن مخففة من الثقيلة أي انها كادت لولا أن ربطنا على قلبها لولا ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته بإلهام الصبر لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعدنا وهو إنا رادوه إليك وجواب لولا محذوف أي لابدته أو فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون تبناه أن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون قال يوسف بن الحسين أمرت أن موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط

وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون (11) وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (12) فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون (13) ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين (14)

القصص 14 - 11
على قلبها وقالت لأخته مريم قصيه اتبعي أثره لتعلمي خبره فبصرت به أي أبصرته عن جنب عن بعد حال من الضمير في به أو من الضمير في بصرت وهم لا يشعرون أنها أخته وحرمنا عليه المراضع تحريم منع لا تحريم شرع أي منعناه أن يرضع ثديا غير ثدي أمه وكان لا يقبل ثدي مرضع حتى أهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أو جمع مرضع وهم وموضع الرضاع وهو الثدي أو الرضاع من قبل من قبل قصها أثره أو من قبل أن نرده على أمه فقالت اخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا هل أدلكم أرشدكم على أهل بيت يكفلونه أي موسى لكم وهم له ناصحون النصح إخلاص العمل من شائبة الفساد روى أنها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان أنها لتعرفه وتعرف أهله فخذوها حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون فانطلقت إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني إمرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتي بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها أنه سيكون نبيا وذلك قوله فرددناه إلى أمه كي تقر عينها بالمقام معه ولا تحزن بفراقه ولتعلم أن وعد الله حق أي وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا وقوله ولا تحزن معطوف على تقر وإنما حل لها ما تأخذه من الدينار كل يوم كما نال السدى لأنه مال حربي لا لأنه أجرة على إرضاع ولدها ولكن أكثرهم لا يعلمون هو داخل تحت علمها أي لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت ولما بلغ أشده بلغ موسى نهاية القوة وتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة

وأنعم عند سيبويه واستوى واعتدل وتم استحكامه وهو أربعون سنة ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة آتيناه حكما نبوة وعلما فقها أو علما بمصالح الدارين وكذلك نجزي المحسنين أي كما فعلنا بموسى وأمه نفعل بالمؤمنين قال الزجاج جعل الله تعالى ايتاء العلم والحكمة مجازاة على الإحسان لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لأنه تعالى قال ولبئس ما شروا به أنفسهم لوكانوا يعلمون فجعلهم جهالا إذ لم يعملوا بالعلم

ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين (15) قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم (16) قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين (17) فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين (18)

القصص 18 - 15
ودخل المدينة أي مصر على حين غفلة من أهلها حال من الفاعل أي مختفيا وهو ما بين العشاءين أو وقت الفائلة يعني انتصاف النهار وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل المدينة إلا على تغفل فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته ممن شايعه على دينه من بني أسرائيل قيل هو السامري وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره وهذا من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وقيل فيهما هذا وهذا وإن كانا غائبين على جهة الحكاية أي إذا نظر إليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه فاستنصره الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى ضربه بجمع كفه أو بأطراف أصابعه فقضى عليه فقتله قال هذا إشارة إلى القتل الحاصل بغير قصد من عمل الشيطان وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لأنه كان مستأمنا فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربي المستأمن أو لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل وعن ابن جريح ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر

إنه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب يارب إني ظلمت نفسي بفعل صار قتل فاغفر لي زلتي فغفر له زلته إنه هو الغفور بإقالة الذلل الرحيم بإزالة الخجل قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا معينا للمجرمين للكافرين وبما أنعمت على قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بانعامك علي بالمغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد فأصبح في المدينة خائفا على نفسه من قتله القبطي أن يؤخذ به يترقب حال أي يتوقع نصرة ربه وفيه دليل على أنه لا بأس بالخوف من دون الله يخلاف ما يقوله بعض الناس أنه لا يسوغ الخوف من دون الله فإذا الذي إذا للمفاجأة وما بعدها مبتدأ استنصره أي موسى بالأمس يستصرخه يستغيثه والمعنى أن الإسرائيلي الذي خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطي آخر

فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين (19) وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين (20) فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين (21) ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (22)

القصص 22 - 18
قال له موسى أي للإسرائيلي إنك لغوي مبين أي ضال عن الرشد ظاهر الغي فقد قاتلت بالأمس رجلا فقتلته بسببك والرشد في التدبير ان لا يفعل فعلا يقضي إلى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته فلما أن أراد موسى أن يبطش بالذي بالقبطي الذي هو عدو لهما لموسى والإسرائيلي لأنه ليس على دينهما أو لأن القبط كانوا اعداء بني اسرائيل قال الإسرائيلي لموسى عليه السلام وقد توهم أنه أراد أخذه لا أخذ القبطي إذ قال له إنك لغوي مبين ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا يعني القبطي بالأمس إن تريد ما تريد إلا أن تكون جبارا أي قتالا بالغضب في الأرض أرض مصر وما تريد أن

تكون من المصلحين في كظم الغيظ وكان قتل القبطي بالأمس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما أفشى على موسى عليه السلام علم القبطي أن قاتله موسى فأخبر فرعون فهموا بقتله وجاء رجل من أقصى المدينة هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون يسعى صفة لرجل أو حال من رجل لأنه وصف بقوله من أقصى المدينة قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك أو يتشاورون بسببك والائتمارالتشارو يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر فاخرج من المدينة إني لك من الناصحين لك بيان وليس بصلة الناصحين لأن الصلة لا تتقدم على الموصول كأنه قال إني من الناصحين ثم أراد أن يبين فقال لك كما يقال سقيا لك ومرحبا لك فخرج موسى منها من المدينة خائفا يترقب التعرض له في الطريق أو أن يلحقه من يقتله قال رب نجني من القوم الظالمين أي قوم فرعون ولما توجه تلقاء مدين نحوها والتوجه الإقبال على الشيء ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق إلا حسن الظن بربه قال عسى ربي أن يهديني سوآء السبيل أي وسطه ومعظم نهجه فجاء ملك فانطلق به إلى مدين

ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير (23) فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير (24)

القصص 24 - 23
ولما ورد وصل ماء مدين ماءهم الذي يسقون منه وكان بئرا وجد عليه على جانب البئر أمة جماعة من الناس من أناس مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان أسفل من مكانهم إمرأتين تذودان تطردان غنمهما عن الماء لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنا من السقي أولئلا تختلط اغنامهما بأغنامهم والذود الطرد والدفع قال ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته ما

مخطوبكما أي ما مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب جطبا قالتا لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم يصدر شامى ويزيد وأبو عمر وأي يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام وأبونا شيخ لا يمكنه سقي الأغنام كبير في حاله أو في السن لا يقدر على رعي الغنم أبدتا إليه عذرهما في توليهما السقي بأنفسهما فسقى لهما فسقى غنمهما لأجلهما رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف روى أنه نحى القوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وترك المفعول في يسقون وتذودان ولا نسقي وفسقي لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذا في لا نسقي فسقى بالمقصود هو السقي لا المسقى ووجه مطايقة جوابهما سؤاله انه سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك أنا إمرأتان مستورتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ونستحي من الإختلاط بهم فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا وإنما رضي شعيب عليه السلام لابنتيه بسقي الماشية لأن هذا الأمر في نفسه ليس بمحظور والدين لا يأباه وأما المروءة فعادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا إذا كانت الحالة حالة ضرورة ثم تولى إلى الظل أي ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتقشفة ولما طال البلاء عليه انس بالشكوى إذ لا نقص في الشكوى إلى المولى فقال رب إني لما لأي شيء أنزلت إلى من خير قليل أو كثير غث أو سمين فقير محتاج وعدى فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام قد لصق بظهره بطنه ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار

فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (25) قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير

من استأجرت القوي الأمين (26) قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين (27)

القصص 27 - 25
لما ورد على سره من الأنوار فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا على استحياء في موضع الحال أي مستحية وهذا دليل كمال ايمانها وشرف عنصرها لأنها كانت تدعوه إلى ضيافتها ولم تعلم أيجيبها أن لا فأتته مستحية قد استترت بكم درعها وما في ما سقيت مصدرية أي جزاء سقيك روى أنهما لما رجعتا إلى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى عليه السلام فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما جاءه وقص عليه القصص أي قصته وأحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين إذ لا سلطان لفرعون بأرضنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو أنثى والمشي مع الأجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع وأما أخذ الأجر على البر والمعروف فقيل أنه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على أنه روى أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك وإنما وإنما أجابها لئلا يخيب قصدها لأن للقاصد حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب الست جائعا قال بلى ولكن أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وأنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فأكل قالت إحداهما يا أبت استأجره اتخذه أجيرا لرعي الغنم روى أن أكبرهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هي التى ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها إن خير من استأجرت القوي الأمين فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت نزع الدلو وأمرها بالمشي خلفه وورد الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أن أمانته وقوته أمران متحققان وقولها أن خير من استأجرت القوي الأمين كلام جامع لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ

بالك وتم مرادك وقيل القوي في دينه الأمين في جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجاري مجرى المثل عن أن تقول استأجره لقوته وأمانته وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر في عمر قال إني أريد أن أنكحك أزوجك إحدى ابنتي هاتين قوله هاتين يدل على أنه كان له غيرهما وهذه مواعدة منه ولم يكن ذلك عقد نكاح إذ لو كان عقد لقال قد أنكحتك على أن تأجرني تكون أجيرا

قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل (28) فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون (29)

القصص 29 - 27
لي من أجرته إذا كنت له أجيرا ثماني حجج ظرف والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على رعي الغنم جائز بالاجماع لأنه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقصة بخلاف التزوج على الخدمة فإن أتممت عشرا أي عمل عشر حجج فمن عندك فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك أو فاتمامه من عندك ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع وما أريد أن أشق عليك بالزام أتم الأجلين وحقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وطورا لا أطيقه ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز أن يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لأنه إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ذلك قال موسى ذلك مبتدأ وهوإشارة إلى ما عاهده عليه شعيب والخبر بيني وبينك يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا أنا فيما شرطت على ولا أنت فيما شرطت على نفسك ثم قال أيما الأجلين قضيت أي أي أجل قضيت من الأجلين يعني العشرة أو الثمانية وأي نصب بقضيت وما زائدة ومؤكدة لا بهام أي وهي شرطية وجوابها فلا عدوان على أي لا يعتدي

على في طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم أنه لا عدوان عليه في أيهما ولكن جمعهما ليجعل الأقل كالأتم في الوفاء وكما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الأقل والله على ما نقول وكيل هو من وكل إليه الأمر وعدى بعلى لأنه استعمل في موضع الشاهد والرقيب روى أن شعيبا كانت عنده عصى الأنبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل أدخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا ولما أصبح قال له شعيبا إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا التنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها رامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له أني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فأوحى إليه في المنام أن أضرب بعصاك مسقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه فلما قضى موسى الأجل قال عليه السلام قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا بخلاف الرواية التي مرت وسار بأهله

فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين (30) وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين (31) اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين (32)

القصص 32 - 29
بامرأته نحو مصر قال ابن عطاء لما أتم أجل المحنة ودنا أيام الزلفة وظهرت أنوار النبوة سار باهله ليشتركوا معه في لطائف صنع ربه

آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آيتكم منها بخبر عن الطريق لأنه قد ضل الطريق أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن بالنسبة إلى موسى في البقعة المباركة بتكليم الله تعالى فيها من الشجرة العناب أو العوسج أن يا موسى أن مفسرة أو مخففة من الثقيلة إني أنا الله رب العالمين قال جعفر أبصر نارا دلته على الأنوار لأنه رأى النور في هيئة النار فلما دنا منها شملته أنوار القدس وأحاطت به جلابيب الأنس فخوطب بألطف خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك مكلما شريفا أعطى ما سأل وأمن مما خاف والجذوة باللغات الثلاث وقرىء بهن فعاصم فتح الجيم وحمزة وخلف بضمها وغيرهم بكسرها العود الغليظ كانت في رأسه نارا ولم تكن من الأولى والثانية والإبتداه الغاية أي أتاه النداء من شاطىء الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطىء الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطىء أي الجانب وأن ألق عصاك ونودي أن ألق عصاك فألقاها فقلبها الله ثعبانا فلما رآها تهتز تتحرك كأنها جان حية في سعيها وهي ثعبان في جثتها ولى مدبرا ولم يعقب يرجع فقيل له يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين أي أمنت من أن ينالك مكروه من الحية أسلك أدخل يدك في جيبك جيب قميصك تخرج بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس من غير سوء برص وأضمم إليك جناحك من الرهب حجازي بفتحتين وبصرى الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى الكل الخوف والمعنى واضمم يدك إلى صدرك يذهب ما بك من فرق أي لأجل الحية عن ابن عباس رضي الله عنهما كل خائف إذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح إن الله تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى وانقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يدي

قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون (33) وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون (34) قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون (35) فلما جاءهم

موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين (36)

القصص 36 - 32
الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه إليه أو أريد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه عند إنقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا أو علة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم إليك جناحك واسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لإختلاف الغرضين إذ الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك إلى جناحك في طه أدخل يمناك في أحدهما يسراك فذانك مخففا مشي ذاك ومشددا مكي وأبو عمرو مثنى ذلك فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا برهانان حجتان نيرتان بينتان وسميت الحجة برهانا لانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة من ربك إلى فرعون وملائه أي أرسلناك إلى فرعون وملائه بهاتين الآيتين إنهم كانوا قوما فاسقين كافرين قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون به بغير ياه والياء يعقوب وأخي هرون هوأفصح مني لسانا فأرسله معنى حفص ردا حال أي عونا يقال ردأته أعنته وبلا همز مدني يصدقني عاصم وحمزة صفة أي ردا مصدقا لي وغيرهما بالجزم جواب لأرسله ومعنى تصديقه موسى إعانته إياه بزيادة البيان في مظان الجدال أن احتاج إليه ليثبت دعواه لا أن يقول له صدقت الا ترى إلى قوله هو أفصح منى لسانا فارسله وفضل الفصاحة انما يحتاج إليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسبحان وبأقل فيه يستويان إني أخاف ان يكذبون يكذبوني في الحالتين يعقوب قال سنشد عضدك بأخيك سنقويك به إذ اليد تشد بشدة العضد لأنه قوام اليد والجملة تقوي بشدة اليد على مزاولة الأمور ونجعل لكما سلطانا غلبة وتسلطا وهيبة في قلوب الأعداء فلا يصلون اليكما بآياتنا الباء تتعلق بيصلون أي لا يصلون إليكما بسبب آياتنا وتم الكلام او فنجعل لكما سلطانا أي نسلطكما بآياتنا أو بمحذوف أي اذهبا بآياتنا أو هو

بيان للغالبون لا صلة أو قسم جوابه لا يصلون مقدما عليه انتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات واضحات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى أي سحر تعمله

وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون (37) وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين (38)

القصص 38 - 36
أنت ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين حال منصوبة عن هذا أي كائنا في زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار أنه لا يفلح الظالمون أي ربي أعلم منكم بحال من أهله الله الفلاح الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبىء الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة لقوله أولئك تعالى لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى والغفران قال موسى بغير واو مكي وهو حسن لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحرا مفترى ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر ربي اعلم حجازى وأبو عمرو ومن يكون حمزة وعلي وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري قصد بنفي علمه باله غيره نفى وجوده أي مالكم من إله غيري أو هو على ظاهره وإن إلها غيره غير معلوم عنده فأوقد لي يا هامان على الطين أي اطبخ لي الآجر واتخذه وأنما لم يقل مكان الطين هذا لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة ولأنه أفصح وأشبه بكلام الجبابرة إذ أمر هامان وهو وزيره بالايقاد على الطين منادي باسمه بيافي وسط الكلام دليل التعظم والتجبر

فاجعل لي صرحا قصرا عاليا لعلي أطلع أي أصعد والاطلاع الصعود إلى إله موسى حسب أنه تعالى في مكان كما كان هو في مكان وإني لأظنه أي موسى من الكاذبين في دعواه أن له إلها وأنه أرسله إلينا رسولا وقد تناقض المخذول فإنه قال ما علمت لكم من إله غيري ثم أظهر حاجته إلى هامان وأثبت لموسى إلها وأخبر أنه غير متيقن بكذبه وكأنه تحصن من عصا موسى عليه السلام فليس وقال لعلي أطلع إلى إله موسى روى أن هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة في البحر وقطعة في المغرب

واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون (39) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين (40) وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون (41) وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين (42) ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون (43) وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين (44)

القصص 44 - 39
ولم يبق أحد من عماله إلا هلك واستكبر هو وجنوده تعظم في الأرض أرض مصر بغير الحق أي بالباطل فالاستكبار بالله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن كما حكى رسولنا عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون يرجعون نافع وحمزة وعلي وخلف ويعقوب فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام المفحم الذي دل به على عظمة شأنه شبههم استقلالا لعددهم وإن كانوا الجم الغفير بحصيات أخذنهن آخذ بكفه فطرحهن في البحر فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك فإنك منصور عليهم وجعلناهم أئمة قادة يدعون إلى النار أي عمل أهل النار قال ابن عطاء نزع عن أسرارهم التوفيق وأنوار

التحقيق فهم في ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دلالة خلق أفعال العباد ويوم القيامة لا ينصرون من العذاب وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ألزمناهم طردا وابعادا عن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس إياهم بعدهم ويوم القيامة هم من المقبوحين المطرودين المبعدين أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم ظرف للمقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب والتوراة من بعد ما أهلكنا القرون الأولى قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام بصائر للناس حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة كما أبصر نور العين الذي يبصر به الأجساد يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لأنها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وهدى وارشادا لأنهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة أن اتبعها لأنهم إذا عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون يتعظون وما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي وقع فيه ميقات موسى إذ قضينا إلى موسى الأمر أي كلمناه وقربناه نجيا وما كنت من الشاهدين من جملة الشاهدين للوحي إليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته

ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين (45) وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون (46) ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (47)

القصص 47 - 45
ولكنا أنشأنا بعد موسى قرونا فتطاول عليهم العمر أي طالت أعمارهم وفترت النبوة وكادت الأخبار تخفي واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير منها فأرسلناك مجددا لتلك الأخبار مبينا ما وقع فيه من تحريف وأعطيناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه قال ما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب الوجي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فإذا هذا

الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا مقيما في أهل مدين وهو شعيب والمؤمنين به تتلوا عليهم آياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه وتتلوا في موضع نصب خبرثان أو حال من الضمير في ثاويا ولكنا كنا مرسلين ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها وما كنت بجانب الطور اذ ناديناموسى أن خذ الكتاب بقوة ولكن أعلمناك وأرسلناك رحمة للرحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة عقوبة بما قدمت أيديهم من الكفر والظلم ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي نسبت الأعمال إلى الأيدي وإن كانت من أعمال القلوب تغليبا للأكثر علىالأقل فيقولوا عند العذاب ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الأولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الأمر إذ الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل في جواب الأمر والمعنى لولا إنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت إلينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أن ارسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا للقول لدخول لولا الامتناعيةعليها دونه قلت القول هوالمقصود بأن يكون سببا للأرسال ولكن العقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الارسال

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون (48) قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين (49) فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين (50) ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون (51) الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون (52) وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين (53)

القصص 53 - 48
فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤل معناه إلى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسنا فلما جاءهم الحق من عندنا أي القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز قالوا أي كفار مكة لولا أوتي هلا أعطي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة أو لم يكفروا يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام بما أوتي موسى من قبل من قبل القرآن قالوا في موسى وهارون ساحران تظاهرا تعاونا سحران كوفي أي ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر وقالوا إنا بكل بكل واحد منهما كافرون وقيل أن أهل مكة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا أو في التوراة والقرآن سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فأخبرهم انه في كتابهم فرجع الرهط إلى قريش فأخبرهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما مما أنزل على موسى ومما أنزل على أتبعه جواب فأتوا إن كنتم صادقين في أنهما سحران فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم يبق لهم حجة إلا اتباع الهوى ومن أضل ممن اتبع هواه يغير هدى من الله أي لا أحد أضل ممن اتبع في الدين هواه وبغير هدى حال أي مخذولا لا يخلى بينه وبين هواه أن الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعنى أن القرآن آتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليذكروا فيفلحوا الذين آتيناهم الكتاب من قبله من قبل القرآن وخبر الذين هم به بالقرآن يؤمنون نزلت في مؤمن أهل الكتاب وإذا يتلى القرآن عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله

أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون (54) وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين (55) إنك لا

تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين (56) وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون (57)

القصص 57 - 54
من قبل نزول القرآن مسلمين كائنين على دين الإسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله أنه تعليل للإيمان به لأن كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن به وقوله أنا بيان لقوله آمنا لأنه يحتمل أن يكون إيمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا بأن إيمانهم به متقادم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ويدرءون بالحسنة السيئة يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم الأذى ومما رزقناهم ينفقون يزكون وإذا سمعوا اللغو الباطل أو الشتم من المشركين أعرضوا عنه وقالوا للاعنين لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم أمان منا لكم بأن نقابل لغوكم بمثله لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم إنك لا تهدي من أحببت لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم ولكن الله يهدي من يشاء يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء وهو أعلم بالمهتدين بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والآيات قال الزجاج أجمع المفسرون لى أنها نزلت في أبي طالب وذلك أنه قال عند موته يا معشر بني هاشم صدقوا محمد تفلحوا فقال عليه السلام يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا بان أخي قال أريد منك أن تقول لا إله ألا الله أشهد لك بها عند الله قال يابن أخي أنا قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت وإن كانت الصيغة عامة والآية حجة على المعتزلة لأنهم يقولون الهدى هو البيان قد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل أن رواء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة وقالوا أن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ولم نكن لهم حرما آمنا قالت قريش نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذي أمنه بحرمة البيت وأمن قطانه بحرمته والثمرات

تجيء إليه من كل أوب وهم كفرة فأنى يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز يجيء إليه وبالتاء مدني ويعقوب وسهل أي تجلب وتجمع ثمرات كل شيء معنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء

وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين (58) وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون (59) وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون (60) أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين (61) ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون (62)

القصص 61 - 57
رزقنا من لدنا هو مصدر لأن معنى يجيء إليه يرزق أو مفعول له أو حال من الثمرات إن كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالإضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة ولكن أكثرهم لا يعلمون متعلق بمن لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بأنعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فأهلكوا وكم نصب أهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وإيصال الفعل أي في معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه فتلك مساكنهم منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الأسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم لم تسكن حال والعامل فيها الاشارة من بعدهم إلا قليلا من السكنى أي لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها أي لا يملك التصرف فيها غيرنا وما كان ربك مهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في أمها وبكسر الهمزة حمزة وعلى أي في القرية التي هي

أمها أي أصلها ومعظمها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة لأن الأرض دحيت من تحتها رسولا يعني محمدا عليه السلام يتلوا عليهم آياتنا أي القرآن وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون أي وما أهلكناهم للإنتقام إلا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو إصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار إليهم وما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة الفانية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وأبقى لأنه دائم أفلا تعقلون أن الباقي خير من الفاني وخير أبو عمرو وبين الياء والتاء والباقون بالتاء ى غير وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله أفمن وعدناه وعدا

قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون (63) وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون (64)

القصص 64 - 61
حسنا أي الجنة فلا شيء أحسن منها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى فهو لا قيه أي رائية ومدركه ومصيبه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين من الذين أحضروا النار ونحوه فكذبوه فإنهم لمحضرون نزلت في رسول الله ص - وأبي جهل لعنه الله أو في علي وحمزة وأبي جهل أو في المؤمن والكافر ومعنى الفاء الأولى أنه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أي أبعد هذا التفاوت الجلي يسوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والفاء الثانية للتسبيب لأن الفاء الموعود مسبب عن الوعد وثم لتراخي حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كما قيل عضد في عضد شبه المنفصل بالمتصل ويوم يناديهم ينادى الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر فيقول أين شركائة بناء على زعمهم الذين كنتم

تزعمون ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما قال الذين حق عليهم القول أي الشياطين أو أئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ربنا هؤلاء مبتدأ الذين اغوينا أي دعوناهم إلى الشرك وسولنا لهم الغي صفة والراجع إلى الموصول محذوف والخبر أغويناهم والكاف في كما أغوينا صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغروا غيا مثل ما غوينا يعنون أنالم نغوا لا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لأن أغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلا فلا فرق إذا بين غينا وغيهم وإن كان تسويلنا داعيا لهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قضي الأمر أن الله وعدكم وعد الحق إلى قوله ولوموا أنفسكم تبرأنا إليك منهم ومما اختاروه من الكفر ما كانوا إيانا يعبدون بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى وقيل للمشركين ادعوا شركاءكم أي الأصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم فلم يجيبوهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون وجواب لو محذوف أي لما

ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين (65) فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون (66) فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين (67) وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون (68) وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون (69) وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون (70)

القصص 70 - 65
رأوا العذاب يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين الذين أرسلوا إليكم حكى أولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين هم الذين استغو وهم ثم ما يشبه الشماتة بهم لاستغاثتم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم

بإرسال الرسل وإزاحة العلل فعميت عليهم الانباء يومئذ خفيت عليهم الحجج أو الأخبار وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون إذ لم يكن عندهم جواب فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والحجة رجاء أن يكون عنده عذر وحجة لأنهم يتساوون في العجز عن الجواب فاما من تاب من الشرك وآمن بربه وبما جاء من عنده وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين أي فعسى أن يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الإسلام وترغيب الكافرين على الإيمان ونزل جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه أو أبا مسعود وربك يخلق ما يشاء وفيه دلالة خلق الأفعال ويوقف على ويختار أي وربك يخلق مايشاء وربك يختار ما يشاء ما كان لهم الخيرة أي ليس له من يختاروا على الله شيئا ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف فيما كان لهم الخيرة لأنه بيان لقوله ويختار اذ المعنى أن الخيرة لله وهو أعلم بوجود الحكمة في أفعاله فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذي لهم فيه الخيرة فقد أبعد بل ما لنفي إختيار الخلق تقديرا لاختيار الحق ومن قال ومعناه ويختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح فهو مائل إلى الاعتزال والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى التخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه سبحان الله وتعالى عما يشركون أي الله بريء من اشراكهم وهو منزه عن أن يكون لأحد عليه اختيار وربك يعلم ما تكن تضمر صدورهم من عداوة رسول الله ص - وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختيرا عليه غيره في النبوة وهو الله وهو المستأثر بالإلهية المختص بها لا إله إلا هو تقدير لذلك كقولك القبلة الكعبة لا قبلة إلا هي له الحمد في الأولى الدنيا والآخرة هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي

قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون (71) قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون (72) ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (73) ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون (74) ونزعنا من كل أمة

شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون (75) إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين (76)

القصص 76 - 70
صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد ثمة على وجه اللذة لا الكلفة وله الحكم القضاء بين عباده وإليه ترجعون بالبعث والنشور وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب قل أرءيتم أريتم محذوف الهمزة على أن جعل الله عليكم الليل سرمدا هو مفعول ثان لجعل أي دائما من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون والمعنى أخبروني من يقدر على هذا قل أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله أي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب اللف والنشر ولعلكم تشكرون الله على نعمه وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل من الله فيهما ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون كرر التوبيخ لإتخاذ الشركاء ليؤذن أن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لاشيء أدخل في مرضاته من توحيده ونزعنا وأخرجنا من كل أمة شهيدا يعني نبيهم لأن الأنبياء للأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للأمم هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل فعلموا حينئذ أن الحق لله التوحيد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من ألوهية غير الله والشفاعة لهم إن قارون لا ينصرف

للعجمة والتعريف ولو كان فاعولامن قرنت الشيء لانصرف كان من قوم موسى كان اسرائيليا ابن عم لموسى فهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين (77) قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون (78)

القصص 78 - 76
عمران بن قاهث وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم أو من البغي الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله وولده أو زاد عليهم في الثياب شبرا وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه ما بمعنى الذي في موضع نصب بآيتنا وأن واسمها وخبرها صله الذي ولهذا كسرت إن والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به أو مفتح بالفتح وهو الخزانة والأصوب أنها المقاليد لتنوء بالعصبة لتثقل العصبة فالباء للتعدية يقال ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود أولي القوة الشدة إذ قال له قومه أي المؤمنون وقيل القائل موسى عليه السلام ومحل إذ نصب بتنوء لا تفرح لا تبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه يتركها عن قريب فلا يفرح بها إن الله لا يحب الفرحين البطرين بالمال وابتغ فيما آتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة بأن تتصدق على الفقراء وتصل الرحم ونصرف إلى أبواب الخير ولا تنس نصيبك من الدنيا وهو أن تأخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه وأطاب بدنياك آخرتك فإن ذلك حظ المؤمن منها وأحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك أو أحسن بشكرك وطاعتك لخالق الأنام كما أحسن إليك بالإنعام ولأتبع الفساد في الأرض بالظلم والبغي إن الله لا يحب

المفسدين قال إنما أوتيته أي المال على علم عندي أي على استحقاق لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا أو العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندي صفة لعلم قال سهل ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه في جميع الأفعال والأقوال والشقي من زين في عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولا فتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاها لنفسه فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا او لم يعلم قارون إن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة هو إثبات لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه في التوراة كأنه قيل أو لم يعلم في جملة

فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم (79) وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون (80) فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين (81)

القصص 81 - 78
ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته او نفى لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندي قيل عنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى قي به نفسه مصارع الهالكين وأكثر جمعا للمال أو أكثر جماعة وعددا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب أو يعترفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسيماهم فلا يسألون أو لا يسألون لتعلم من جهتهم بل يسألون سؤال توبيخ أو لا يسأل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الأمة فخرج على قومه في زينته في الحمرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي

والديباج وفي زينته حال من فاعل خرج أي متزينا قال الذين يريدون الحيوةالدنيا قيل كانوا مسلمين وغنما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار كعادة البشر وقيل كانوا كفارا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون قالوه غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه كهذه الآية والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى ولا تتمنو ا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله ص - هل تضر الغبطة قال لا إلا كما يضر العضاه الخبط إنه لذو حظ عظيم الحظ الجد وهو البخت والدولة وقال الذين أوتوا العلم بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لغابطي قارون ويلكم أصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى وفي التبيان في الحرب القرآن هو مفعول فعل محذوف أي ألزمكم الله ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها أي لا يلقن هذه الكلمة وهي ثواب الله خير إلا الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير فخسفنا به وبداره الأرض كان قارون يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال إن موسى يريد أن يأخذ أومالكم فقالوا أنت كبيرنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فترفضه بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار أو طستا من ذهب أو حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجمناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون (82) تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (83) من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون (84)

القصص 83 - 81
فناشدها بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب أن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى اللع إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذوهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذوهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى استغاث بك مرار فلم ترحمه فوعزتي لو استرحمني مرة لرحمته فقال بعض بني اسرائيل إنما اهلكه ليرث ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه فما كان له من فئة جماعة ينصرونه من دون الله يمنعونه من عذاب الله وما كان من المنتصرين من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع وأصبح وصار الذين تمنو مكانه منزلته من الدنيا بالأمس ظرف لتمنوا ولم يرد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة يقولون وي كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر وي منفصلة عن كأن عند البصريين قال سيبويه وي كلمة تنبه على الخطأ وتندم يستعملها النادم بإظهار ندامته يعني ان القوم تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا لولا أن من الله علينا بصرف ما كنا نتمناه بالأمس لخسف بنا وبفتحتين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله تعالى وأي كانه لا يفلح الكافرون أي تندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها وقوله ونجعلها خبر تلك والدار نعتها للذين لا يريدون علوا في الأرض بغيا ابن جبير زظلما الضحاك او كبرا ولا فسادا عملا بالمعاصي أو قتل النفس أو دعاء إلى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعله صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قراها ثم قال ذهبت الأماني ههنا وعن عمر بن

عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثا بقوله إن فرعون علا في الآرض ولا تبغ الفساد في الأرض والعاقبة المحمودة للمتقين من جاء

إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين (85) وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين (86) ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين (87) ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون (88)

القصص 88 - 84
بالحسنة فله خير منها مر في النمكل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين علموا السيئات معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لأن في اسناد عمل السيئة إليهم مكررا فضل تهجين بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين إلا ما كانوا يعملون إلا مثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة إن الذي فرض عليك القرآن أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك بعد الموت إلى معاد أي معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر فلذا نكره أو المرادبه مكة والمراد رده إليها يوم الفتح لأنها كانت في ذلك اليوم ميعادا له شأن ومرجعا له واعتداد لغلبة رسول الله وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولابالمدينة حين اشفتاق إلى مولده ومولد آبائه ولما وعد رسوله الرد إلى ميعاده قال قل للمشركين ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما له من الثواب في ميعاده ومن هو في ضلال مبين يعني المشركين وما يستحقونه من العذاب في معادهم من في محل نصب بفعل مضمر أي يعلم وما كنت ترجوا أن يلقى يوحي إليك الكتاب القرآن إلارحمة من ربك هو محمول على المعنى أي وما ألقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك أو إلا بمعنى لكن للأستدراك أي ولكن لرحمة من ربك ألقى إليك الكتاب فلا تكونن ظهيرا للكافرين معينا لهم على دينهم ولا يصدنك عن آيات الله هو

على الجمع أي ألا يمنعنك هؤلاء عن العمل بآيات الله أي القرآن بعد إ
انزلت إليك الآيات أي بعد وقت انزاله واذ يضاف إليه أسماء الزمان
كقولك حينئذ وتومئذ وادع إلى ربك إلى توحيده وعبادته ولا تكونن من
المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر قال ابن عباس رضي الله عنهما
الخطاب في الظاهر للنبي ص - والمراد أهل دينه ولأن العصمة لا
تمنع النهى والوقف على آخر لازم لأنه لو وصل لصار لا إله ألا هو
صفة لآلها آخر وفيه من الفساد ما فيه كل شيء هالك إلا وجهه أي إلا
إياه فالوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعني علم العلماء إذا أريد
به وجه الله له الحكم القضاء في خلقه وإليه يرجعون بفتح التاء
وكسر الجيم يعقوب والله أعلم

الم (1) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (2)
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين (3) أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما
يحكمون (4)

العنكبوت 4 - 1
سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
ألم احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون الحسبان
قوة أحد النقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف
بينمها والعلم فهو القطع على أحدهما ولا يصح تعليقهما لمعاني
المفردات ولكن بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت
الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس
جوادا لأن قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون فإذا
أردت الأحبار على ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين
أدخلت على شطري الجملة فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك
والكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان هنا أن يتركوا أن
يقولوا آمنا وهم لا يقتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير
مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو
الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى
التصيير كقول عنترة

فتركته جزر السباع يفشنه
ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبا ن تقدران تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قيل اللام هو استفهام توبيخ والفتنة الإمتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ومصابرة الكفار على آذاهم وكيدهم وروى أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ص - قد جزعوا من أذى المشركين أو في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله ولقد فتنا اختبرنا وهو موصول بأحسب أو بلا يفتنون الذين من قبلهم بأنواع الفتن فمنهم من يوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ومنهم من يمشط بأمشاط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الإيمان وليعلمن الكاذبين فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل أن يعلمه موجودا عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب قال بن عطاء يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين أم حسب الذين يعملون

من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم (5)
ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين (6)
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون (7) ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (8)

العنكبوت 8 - 4
السيئات أي الشرك والمعاصي أن يسبقونا أي يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة واشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مفعولين كقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوزأن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذلك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا

يجازي بمساويه وقالوا الأول في المؤمنين وهذا في الكافرين ساء ما يحكمون ما في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم أو نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذنب محذوف أي بئس حكما يحكمونه حكمهم من كان يرجوا لقاء الله أي يأمل ثوابه أو يخاف حسابه فالرجاء يحتملهما فإن أجل الله المضروب للثواب والعقاب لآت لا محالة فاليبادر للعمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله وهو السميع لما يقوله عباده العليم بما يفعلونه فلا يفوته شيء ما وقال الزجاج من للشرط ويرتفع بالإبتداء وجواب الشرط فإن اجل الله لآت كقولك إن كان زيد الدار فقد صدق الوعد ومن جاهد نفسه بالصبر على طاعة الله أو الشيطان بدفع وساوسة أو الكفار فإنما يجاهد لنفسه لأن منفعة ذلك ترجع إليها إن الله لغني عن العالمين وعن طاعتهم ومجاهدتهم وإنما أمر ونهي رحمة للعباده والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم أي الشرك والمعاصي بالإيمان والتوبة ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون أي أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وصى حمكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه قوله وصى بها ابراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت وزيدا بعمر ومعناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسنا ووصيناه بإيتاء والديه حسنا أو بإيلاء والديه حسنا أي فعلا ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز أن يجعل حسنا من باب قولك زيدا بإضمار اضرب إذا رأيته متهيأ للضرب فتنصبه بإضمار أولهما أو إفعل بهما لأن التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك إذا حملاك عليه وعلى هذا التفسيران وقف علي بوالديه وابتدىء حسنا حسن الوقف على التفسير الأول لابد من اضمار القول معناه وقلنا وإن جاهداك أيها الإنسان لتشرك بي ما ليس لك به علم أي لا علم بإلهيته والمراد بنفي العلم نفى المعلوم كأنه قال لتشرك بي شيئا لا يصح أن يكون إلها فلا تطعهما في ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين (9) ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب

الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين (10) وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين (11) وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون (12)

العنكبوت 12 - 8
إلى مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن أشرك فأنبئكم بما كنتم تعملون فأجازيكم حق جزائكم وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهما على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في الدين روى أن سعد بن أبي وقاص لما أسلم نذرت أمه أن لا تأكل ولا تشرب حتى يرتد فشكا إلى النبي ص - فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الأحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات هو مبتدأ والخبر لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى الأنبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما وألحقني بالصالحين أو في مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت في المنافقين ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله أي إذا مسه أذى من الكفار جعل فتنة الناس كعذاب الله أي جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله تعالى ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أي وإذا نصر الله المؤمنين وغنهم اعترضوهم وقالوا إنا كنا معكم أي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم فأعطونا نصيبنا من الغنم أو ليس الله باعلم بما في صدور العالمين أي هو أعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما في صدور هؤلاء من النفاق وما في صدرو المؤمنين من الإخلاص ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين بقوله وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين أي حالهما ظاهرة عند من يملك الجزاء عليهما وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أموراهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن تتبعوا سيبلنا وأن نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالإتباع أي أن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا

نبعث نحن ولا أنتم فإن كان ذلك فإنا نتحمل عنكم الأثم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على

وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون (13) ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون (14) فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين (15) وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (16) إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون (17)

العنكبوت 17 - 13
خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم أي أثقال أنفسهم يعنى أوزارهم بسب كفرهم وأثقالا مع أثقالهم أي أثقالا أخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وهو كما قال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون يختلقون من الأكاذيب والأباطيل ولقد أرسلنا نوحا إلى قومهم فلبث فيها ألف سنة إلا خمسين عاما كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة لأنه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل هنا فكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة ولأن القصة سبقت لما إبتلى به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لنبينا عليه السلام فكان ذكر الألف أفخم وأوصل إلى الغرض وجيء بالمميز أولا بالسنة ثم بالعام لأن تكرارا لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة

فاخذهم الطوفان هو ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما وهم ظالمون أنفسهم بالكفر فأنجيناه أي نوحا وأصحاب السفينة وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وجعلناها أي السفينة أو الحادثة أو القصة آية عبرة وعظة للعالمين يتعظون بها وابراهيم نصب باضمار أذكر وأبدل عنه إذ قال بدل اشتمال لأن الأحيان تشتمل على ما فيها أو معطوف على نوح أي وأرسلنا ابراهيم أو ظرف لأرسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السن أو العلم مبلغا صلح فيه لأن يعظ قومه ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعي وأبو حنيفة رضي الله عنهما ابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم من الكفر إن كنتم تعلمون إن كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم إنما تعبدون من دون الله أوثانا أصناما وتخلقون

وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين (18) أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير (19)

العنكبوت 19 - 17
وتكذبون أو تصنعون وقرأ أبو حذيفة والسلمى رضي الله عنهما وتخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق إفكا وقرىء أفكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما واختلافهم الافك تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره واعبدوا واشكروا له إليه ترجعون فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين أي وإن تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فإن الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وإنما ضروا أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم وأما الرسول فقد تم أمره حيث بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وأن كنت مكذبا فيما

بينكم فلي في سائر الأنبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الوسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله فما كان جواب قومه محتملة أو تكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالأمم قبله قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله ص - وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها فإن قلت فالجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت نعم وبيانه أن إيراد قصة ابراهيم عليه السلام ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله ص - وأن تكون مسلاة له بأن اباه ابراهيم عليه السلام كان مبتلى نحو ما ابتلى به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله وإن تكذبوا على معنى أنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها لأن قوله فقد كذب أمم من قبلكم لابد من تناوله لأمة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض متصل ثم سائر الآيات بعدها من توابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه أو لم يروا وبالتاء كوفى غير حفص كيف يبدىء الله الخلق أي قدروا ذلك وعلموه وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدىء

قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير (20) يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون (21) وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (22) والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم (23) فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (24)

العنكبوت 24 - 19
وليست الرؤية واقعة عليه وإنما هو اخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق إن ذلك أي الإعادة على الله يسير سهل

قل يا محمد وإن كان من كلام ابراهيم فتقديره وأوحينا إليه أن قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق على كثرتهم واختلاف أحوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله لمشاهدة وبدأ وأبدأ بمعنى ثم الله ينشىء النشأة الآخرة أي البعث وبالمد حيث كان مكي وأبو عمرو وهذا دليل على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما انشاء أي ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود غير أن الآخرة لأن الكلام معهم وقع في الإعادة فلما قررهم في الابداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة انشاء مثل الإبداء فإذا لم يعجزه الإبداء وجب أن لا يعجزه الإعادة فكأنه قال ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشىء النشأة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ أن الله على كل شيء قدير قادر يعذب من يشاء بالخذلان ويرحم من يشاء بالهداية أو بالحرص والقناعة أو بسوء الخلق وحسنة أو الاعراض عن الله وبالاقبال عليه أو بمتابعة البدع وبملازمة السنة وإليه تقبلون تردون وترجعون وأما أنتم بمعجزين ربكم أي لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه في الأرض الفسيحة ولا في السماء التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها ومالكم من دون الله من ولي يتولى أموركم ولا نصير ولا ناصر يمنعكم من عذابي والذين كفروا بآيات الله دلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي جنتي وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه قوم ابراهيم حين دعاهم إلى الإيمان إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين فاتفقوا تحريقه فأنجاه الله من النار حين قذفوه فيها إن في ذلك فيما فعلوا به وفعلنا لآيات لقوم يؤمنون

وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين (25) فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم (26) ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين (27) ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (28)

العنكبوت 28 - 24
روى أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم ألقي إبراهيم في النار وذلك لذهاب حرها قال ابراهيم لقومه إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا حمزة وحفص مودة بينكم مدني وشامي وحماد ويحيى وخلف مودة بينكم مكي وبصرى وعلى مودة بينكم الشمنى والبرجمي النصب على وجهين على التعليل أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لإجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تجابهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ إلهه هواه وما كافة أي اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم أي مودودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان أن يكولا خبرا لأن ما موصولة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أي مودة بينكم والمعنى أن الأوثان مودة بينكم أي مودودة أو سبب مودة ومن أضاف المودة جعل بينكم اسما لا ظرفا كقوله شهادة بينكم ومن نون مودة ونصب بينكم فعلى الظرف ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض تتبرأ الأصنام من عابديها ويعلن بعضكم بعضا أي يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن فيلعن الاتباع القادة ومأواكم النار أي مأوى العابد والمعبود والتابع والمتبوع ومالكم من ناصرين ثمة فآمن له لإبراهيم عليه السلام لوط هو ابن أخي ابراهيم وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه وقال إبراهيم إني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى فلسطين وهي من برية الشام ومن ثم قالوا الكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وسارة وقد تزوجها إبراهيم إلى ربي إلى حيث أمرني ربي بالهجرة إليه إنه هو العزيز الذي يمنعني من أعدائي الحكيم الذي لا يأمرني إلا بما هو خير ووهبنا له اسحق ولدا ويعقوب ولد ولد ولم يذكر اسمعيل لشهرته وجعلنا في ذريته النبوة أي في ذرية إبراهيم فإنه شجرة الأنبياء والكتاب والمراد به الجنس يعني التوراة والانجيل والزبور والفرقان وآتيناه أي إبراهيم أجره الثناء الحسن والصلاة عليه إلى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له أو هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره في الدنيا فيه دليل على أنه تعالى قد يعطي الاجر في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين أي من أهل الجنة عن الحسن ولوطا أي واذكر لوطا إذ قال لقومه أنكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة

أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين (29) قال رب انصرني على القوم المفسدين (30) ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين (31) قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (32) ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين (33)

العنكبوت 33 - 28
في القبح وهي اللواطة ماسبقكم بها من أحد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لأن احدا قبلهم لم يقدم عليها قالوا لم ينزل ذكر على ذكر قبل قوم لوط ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وتأتون في ناديكم مجلسكم ولا يقال للمجلس ناد إلا مادام فيه أهله للمنكر أي المضارطة والمجامعة والسباب والفحش في المزاح والحذف بالحصى ومضغ العلك والفرقعة والسواك بين الناس فما كان جواب قومه إلا ان قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب أنكم أئنكم شامى وحفص وهو الموجود في الإمام وكل واحدة بهمزتين كوفي غير حفص آينكم آينكم بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أو عمرو أينكم أينكم بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكي ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد قال رب انصرني بإنزال العذاب على القوم المفسدين كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة لإبراهيم بالولد والنافلة يعني اسحق ويعقوب قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إضافة مهلكوا لم تفد تعريفا لأنها بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم وهذه القرية تشعر بأنها قريبة من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا أنها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع ابراهيم عليه السلام أن أهلها كانوا ظالمين أي الظلم قد استمر منهم في الأيام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم

قال ابراهيم إن فيها لوطا أي أتهلكونهم وفيهم من هو بريء من الظلم وهو لوط قالوا أي الملائكة نحن أعلم منك بمن فيها لننجينه لننجينه يعقوب وكوفي غير عاصم وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب ثم أخبر عن مسيرة الملائكة إلى لوط بعد مفارقتهم ابراهيم يقوله ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم وأن صلة أكدت وجود الفعلين مرتبا احدهما على الآخر كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحسن بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه أن يتناولوهم

إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (34) ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون (35) وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين (36) فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (37) وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين (38)

العنكبوت 38 - 33
بالفجور سيء بهم مدني وشامي وعلى وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم ويتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذرع إذا كان مطيقا والأصل فيه ان الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والمقدرة وهو نصب على التمييز وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وبالتخفيف مكي وكوفي غير حفص وأهلك الكاف في محل الجر ونصب أهللك بفعل محذوف أي وننجي أهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون منزلون شامي على أهل هذه القرية رجزا عذابا من السماء بما كانوا يفسقون بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله ولقد تركنا منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل الماء الأسود على وجه الأرض لقوم يتعلق بتركنا أو ببينة يعقلون وإلى مدين وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به الثواب في العاقبة أو خافوه ولا تعثوا في الأرض مفسدين قاصدين الفساد فكذبوه فأخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة أو صيحة جبريل

عليه السلام لأن القلوب رجفت بها فأصبوا في دارهم في بلدهم وأرضهم جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا منصوب باضمار أهلكنا لأن قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لأنه في معنى الاهلاك وثمود حمزة وحفص وسهل ويعقوب وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من إهلاكهم من مساكنهم من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان أعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السبيل الذي امروا بسلوكه هو الإيمان بالله ورسله وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل

وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين (39) فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (40) مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (41) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (42) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (43)

العنكبوت 43 - 39
ولكنهم لم يفعلوا وقارون وفرعون وهامان أي وأهلكناهم ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه فكلا أخذنا بذنبه فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا هي ريح عاصف فيها حصباء وهي لقوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة هي لمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الأرض يعني قارون ومنهم من أغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وما كان الله ليظلمهم ليعاقبهم بغير ذنب ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر والطغيان مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء أي آلهة يعني مثل من أشرك بالله الأوثان في الضعف وسوء الإختيار كمثل العنكبوت اتخذت بيتا أي كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت فإن ذلك بيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يقي ما تقي البيوت فكذلك الأوثان لا تنفعهم في الدنيا والآخرة جعل حاتم

اتخذت حالا وأن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لابيت أوهن من بيتها عن علي رضي الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فإن تركه يورث الفقر لوكانوا يعلمون إن هذا مثلهم وإن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل معنى الآية مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالإضافة إلى رجل يبني بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج في جماعة تقدير الآية مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت إن الله يعلم ما يدعون بالياء بصرى وعاصم وبالتاء غيرهما غير الأعشى والبرجمي وما بمعنى الذي وهو مفعول يعلم ومفعول يدعون مضمر في يدعونه يعني يعبدونه من دونه من شيء من في شيء للتبيين وهو العزيز الغالب الذي لا شريك له الحكيم في ترك المعاجلة بالعقوبة وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا جمادا لا علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل كل شيء إلا بحكمة وتدبير وتلك الأمثال الأمثال

خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (44) اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون (45)

العنكبوت 45 - 43
نعت والخبر نضربها نبينها للناس كان سفهاء قريش وجهلتهم يقولون أن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها إلا العالمون به وبأسمائه وصفاته أي لا يعقل صحتها وحسنها ولا يفهم فائدتها إلا هم لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المستترة حتى تبرزها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي ص - أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ودلت الآية على فضل العلم على العقل خلق الله السموات والأرض بالحق أي محقا يعني لم يخلقهما باطلا بل لحكمة وهي أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم دلائل على عظم

قدرته ألا ترى قوله إن في ذلك لآية للمؤمنين وخصهم بالذكر لإنتفاعهم بها اتل ما أوحي إليك من الكتاب تقربا إلى الله تعالى بقراءة كلامه ولتقف على ما أمر به ونهى عنه وأقم الصلاة أي دم على إقامة الصلاة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء الفعلة القبيحة كالزنا مثلا والمنكر هو ما ينكره الشرع والعقل قيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روى أنه قيل يوما لرسول الله ص - أن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه وروى أن فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وقال ابن عوف أن الصلاة تنهى إذا كنت فيها فأنت في معروف وطاعة وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه ولذكر الله أكبر أي الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وإنما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال والصلاة أكبر لأنها ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له لأن ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والأماني ولأن ذكره لا يفني وذكركم لا يبقى وقال سلمان ذكر الله أكبر من كل شيء وأفضل فقد قال عليه السلام ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وسئل أي الأعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله أو ذكر الله أكبر من أن تحويه أفهاكم وعقولكم أو ذكر الله أكبر من أن تلقى معه معصية أو ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (46) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (47) وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (48) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (49)

العنكبوت 49 - 46
أحسن الثواب ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن بالخصلة التى هى أحسن للثواب وهى مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم فأفرطوا فى الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل إلا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة أو معناه ولا تجادلوا الداخلين فى الذمة المؤدين للجزية إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فمجادلتهم بالسيف والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة فى الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذى به تتحقق المجادلة وقوله وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون من جنس المجادلة بالاحسن وقال عليه السلام ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا إليك الكتاب أى أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماويةأو كما أنزلنا الكتب إلى من قبلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبدالله بن سلام ومن معه ومن هؤلاء أى من اهل مكة من يؤمن به أو أراد بالذين أوتو الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها إلا الكافرون إلا المتوغلون فى الكفرالمصممون عليه ككعب بن الاشرف واضرابه وما كنت تتلوا من قبله من قبل القرآن من كتاب ولا تخطه بيمينك خص اليمين لأن الكتابة عالبا تكون باليمين أى ما كنت قرأت كتابا من الكتب ولا كنت كاتبا إذا أى لو كان شيء من ذلك أى من التلاوة ومن الخط لارتاب المبطلون من أهل الكتاب وقالوا الذى نجد نعته فى كتبنا امى لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده وسماهم مبطلين لا نكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبى ما مات النبى صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ بل هو أى القرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم أى فى صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن

وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين (50) أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (51) قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (52) ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون (53)

العنكبوت 53 - 49
كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ إلا من المصاحف وما يجحد بآياتنا الواضحة إلا الظالمون أى المتوغلون فى الظلم وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه آية بغير الف مكى وكوفى غير حفص أرادواهلا انزل عليه آيات مثل الناقة والعصا ومائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك قل إنما الآيات عند الله ينزل أيتها شاء ولست املك شيئا منها وإنما انا نذير مبين كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لى ان اقول انزل على آيه كذا دون آيه كذا مع علمى ان المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك أولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم أى أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آيه ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون فى مكان دون مكان ان فى ذلك أى فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان إلى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون دون المتعنتين قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا اى شاهدا بصدق ما ادعيه من الرسالة وانزال القرآن على وبتكذيبكم يعلم ما فى السموات والأرض فهو مطلع على امرى وامركم وعالم بحقى وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما يعبدون من دون الله وكفروا وبالله وآياته أولئك هم الخاسرون والمغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان إلا أن الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا أو اياكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين وروى أن كعب بن الاشراف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت ويستعجلونك بالعذاب

بقولهم امطر علينا حجارة من السماء الآية ولولا أجل مسمى وهو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت فنائهم بآجالهم والمعنى ولولا اجل قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذبهم والحكمة تقتضى تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم العذاب عاجلا أو

يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (54) يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (55) يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون (56) كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون (57) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين (58)

العنكبوت 58 - 53
ليأتينهم العذاب فى الأجل المسمى بغتة فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين أى ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم لقوله تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ولا وقف على بالكافرين لأن يوم ظرف إحاطة النار بهم ويقول بالياء كوفى ونافع وقوله ذوقوا ما كنتم تعملون أى جزاء أعمالكم يا عبادى وبسكون الياء بصرى وكوفى غير عاصم الذين آمنوا إن أرضى واسعة وبفتح الياء شامى يعنى أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا واصح دينا وأكثر عبادة والبقاع تتفاوت فى ذلك تفاوتا كثيرا وقالوا لم نجد أعون على قهر النفس واجمع للقلب واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعدمن الفتن واربط للأمر الدينى من مكة حرسها الله تعالى وعن سهل إذا ظهرت المعاصى والبدع فى أرض فأخرجوا منها إلى الأرض المطيعين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة فاياى فاعبدون وبالياء يعقوب وتقديره فاياي فاعبدوني وجىء بالفاء فى فاعبدون لأنه جواب شرط محذوف لأن المعنى أن أرضى واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فاخلصوها فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى

الاختصاص والإخلاص ثم شجع المهاجر بقوله كل نفس ذائقة الموت أى واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق لأنها إذا تيقنت بالموت سهل عليها مفاوقة وطنها ثم إلينا ترجعون بعد الموت للثوب والعقاب يرجعون يحيى ترجعون يقعوب والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غرقا لننزلهم من الجنة علالى لبثوينهم كوفى غير عاصم من الثواء وهو النزول للاقامة وثوى غير مبتعد فإذا تعدى بزيادة الهمزة لم يجاوز مفعولا واحدا والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف أما أجراؤه مجرى لننزلنهم لنؤوينهم أو حذف الجار وإيصال الفعل أو تشبيه الظرف الؤقت بالمبهم تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ويوقف على العاملين على أن الذين

الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (59) وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم (60) ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون (61) الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم (62) ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون (63)

العنكبوت 63 - 59
صبروا خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين صبروا على مفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى والوصل أجود ليكون الذين نعتا للعاملين وعلى ربهم يتوكلون ولم يتوكلوا فى جميع ذلك إلا على الله ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم من مكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فنزلت وكأين من دابة أى وكم من دابة وكائن بالمد والهمز مكى والدابة كل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أم لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حملة الله يرزقهم وإياكم أى لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التى لا تحمل

وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره إنما تصبح فيرزقها الله وقيل لا يدخر شيء من الحيوان قوتا إلا ابن آدم والفأرة والنملة وهو السميع لقولكم تخشى الفقر والعيلة العليم بما فى ضمائركم ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر أى ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلق السموات والارض على كبرهما وسعتهما ومن الذى سخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله مع إقرارهم بهذا كله الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له أى لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله قدر الرزق وقتره بمعنى إذا ضيقه إن الله بكل شئ عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم فى الحديث ان من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وأن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله أي هم مقرون بذلك قل الحمد لله على إنزاله الماء لاحياء الأرض أو على أنه ممن أقر بنحوما أقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه ولم يكن إقرارا عاطلا كاقرار المشركين بل أكثرهم لا يعقلون لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما نريهم من الآيات ونقيم عليهم من الدلالات أو

وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون (64) فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون (65) ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون (66) أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون (67) ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين (68) والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين (69)

العنكبوت 67 - 64
لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله وما هذه الحيوة الدنيا إلا لهو ولعب أى وما هى لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه ازدراء بالدنيا وتصغير لأمرها وكيف

لا تضرها وهى لا تزن عنده جناح بعوضة واللهو ما يتلذذ به الإنسان فيلهيه ساعة ثم ينقضى وإن الدار الآخرة لهى الحيوان أى الحياة ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكانها فى ذاتها حياة والحيوان مصدر حى وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لهى الحياة لما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة والموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة معنى الحياة ويوقف على الحيوان لأن التقدير لو كانوا يعلمون حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفانى على الحيوان الباقى ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك فإذا ركبوا فى الفلك هو متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين فى صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلها آخر فلما نجاهم إلى البر وآمنوا إذا هم يشركون عادوا إلى حال الشرك ليكفروا بما آتيناهم من النعمة قيل هى لام كى وكذا فى وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر أى لكى يكفروا وكى يتمتعوا والمعنى يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاه قاصدين التمتع بهم والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة فإنهم يشكرون نعمة الله إذا أنجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التلذذ والتمتع وعلى هذا لا وقف على يشركون ومن جعله لام الأمر متثبتا بقراءة ابن كثير وحمزة وعلى ولتمتعوا بسكون اللام على وجه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتحقيقه فى أصول الفقه يقف عليه فسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تدميرهم أولم يروا أى أهل مكة أنا جعلنا بلدهم حرما ممنوعا مصونا آمنا يأمن داخله ويتخطف الناس من حولهم يستلبون قتلا وسببا أفبا لباطل يؤمنون أى بالشيطان والأصنام وبنعمة الله يكفرون أى بمحمد

الم (1) غلبت الروم (2) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (3) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (4)

العنكبوت 69 - 68
الروم 3 - 1
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكفرين
سورة الروم بسم الله الرحمن الرحيم
عليه السلام والإسلام ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا بأن جعل له شريكا أو كذب بالحق بنبوة محمد عليه السلام والكتاب لما جاءه أى لم يتلعثموا فى تكذيبه حين سمعوه أليس فى جهنم مثوى للكافرين هذا تقرير لثوائهم فى جهنم لأن همزة الإنكار إذا أدخلت على النفى صار إيجابا يعنى ألا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو ألم يصح عندهم أن فى جهنم مثوى للكافرين حين اجترءوا مثل هذه الجراءة وذكر المثوى فى مقابلة لنبوثنهم يؤيد قراءة الثانى والذين جاهدوا أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين فينا فى حقنا ومن أجلنا ولو جهنا خالصا لنهدينهم سبلنا سبلنا أبو عمرو أى لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا وعن الدارانى والذين جاهدوا فيما علمو لنهدينهم إلى ما لم يعلموا فقد قيل من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل إن الذى ترى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو لتقصيرنا فيما نعلم وعن فضيل والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وعن سهل والذين جاهدوا فى إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا فى رضاها لنهدينهم الوصول إلى محل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وعن الجنيد جاهدرا فى التوبة لنهدينهم سبل الإخلاص أو جاهدوا فى خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا والأنس بنا أو جاهدوا فى طلبنا تحريا لرضانا لنهدينهم سبل الوصول الينا وإن الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة فى الدينا وبالثواب والمغفرة فى العقبى
سورة الروم مكية وهى ستون أو تسع وخمسون آية والاختلاف فى بضع سنين بسم الله الرحمن الرحيم
ألم غلبت الروم أى غلبت فارس الروم فى أدنى الأرض أى أقرب أرض العرب لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشام أو أراد أرضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه أى فى أدنى أرضهم إلى عدوهم وهم أى الروم من بعد غلبهم أى علبة فارس اياهم وقرىء بسكون اللام

فالغلب والغلب

بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (5) وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون (6) يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (7)

الروم 7 - 4
مصدران وقد أضيف المصدر إلى المفعول سيغلبون فارس ولا وقف عليه لتعليق فى بضع سنين به وهو ما بين الثلاث إلى العشرة قيل احتربت فارس والروم بين أدرعات وبصرى فغلبت فارس الروم والملك بفارس يومئذ كسرى أبرويز فبلغ الخبرمكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وسمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى ابن خلف كذبت فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام زد في الخطر وابعد فى الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية أو يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى فقال عليه السلام تصدق به وهذه آية بينة على صحة نبوته وان القرآن من عند الله لأنها أنباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قتادة ومن مذهب أبى حنيفة ومحمدان العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة فى دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بهذه القصة الله الأمر من قبل ومن بعد أى من قبل كل شئ ومن بعد كل شيء أو حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعنى أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغلبه من له كتاب على

من لا كتاب له وغيط من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم والباء يتصل بيفرح فيوقف على الله لا على المؤمنين ينصر من يشاء وهو العزيز الغالب على أعدائه الرحيم العاطف على أوليائه وعد الله مصدر مؤكد لأن قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فقوله وعد الله بمنزلة وعد الله المؤمنين وعدا لا يخلف الله وعده بنصر الروم على فارس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك يعلمون بدل من لا يعلمون وفيه بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد للدنيا ظاهر او باطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها وباطنها انها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعه وبالأعمال الصالحة وتنكير الظاهر

أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون (8) أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (9)

الروم 9 - 7
يفيد انهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم عن الآخرة هم غافلون هم الثانية مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبرهم الأولى وفيه بيان أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها أو يتفكروا فى أنفسهم يحتمل أن يكون ظرفا كانه قيل أو لم يثبتوا التفكر فى أنفسهم أى فى قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون إلا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقوله اعتقده فى قلبك وأن يكون صلة للتفكر نحو تفكر فى الأمر وأجال فيه فكره ومعناه على هذا أولم يتفكروا فى أنفسهم التى هى أقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الاهمال وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى وقت تجازى فيه على الاحسان

إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمةفى التدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إ لى ذلك الوقت ماخلق الله السموات والأرض وما بينهما متعلق بالقول المحذوف ومعناه أو لم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لأن فى الكلام دليلا عليه إلا بالحق وأجل مسمى أى ما خلقها باطلا وعبثا بغير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة إنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بدلها من أن تنتهى اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى الى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم بالبعث والجزاء لكافرون لجاحدون وقال الزجاج أى لكافرون بلقاء ربهم او لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هو تقرير لسيرهم فى البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية ثم وصف حالهم فقال كانوا اشد منهم قوة واثاروا الأرض وحرثوها وعمروها اى المدمرون اكثر صفة مصدر محذوف وما مصدريةفى مما عمروها أى من عمارة اهل مكة وجاءتهم رسلهم بالبينات وتقف عليها لحق الحذف أى فلم يؤمنوا فاهلكوا فما كان الله ليظلمهم فما كان تدميره اياهم ظلما لهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولكنهم ظلموا

ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون (10) الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون (11) ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (12) ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين (13) ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (14) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون (15) وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون (16)

الروم 16 - 10
أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم ثم كان عاقبة بالنصب شامى وكوفى الذين أساؤا السوأى تأنيث الاسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ومحلها رفع على أنها اسم كان عند من نصب عاقبة

على الخبر ونصب عند من رفعها والمعنى انهم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى إلا أنه وضع الظهر وهو الذين أساءوا موضع المضمر أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبا ت فى الآخرة وهى النار التى أعدت للكافرين أن كذبوا لأن كذبوا أوبان وهو يدل على أن معنى أساءوا كفروا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون يعنى ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها الله يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يحييهم بعد الموت ثم إليه ترجعون وبالياء أبو عمرو وسهل ويوم تقوم الساعة يبلس يبأس ويتحير يقال ناظرته فابلس إذا لم ينبس ويئس من أن يحتج المجرمون
المشركون ولم يكن لهم من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكتب شفعؤا فى المصحف بواو قبل الالف كما كتب علمؤا بنى اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها وكانوا بشركائهم كافرين أى يكفرون بآلهتهم ويجحدونها أو وكانوا فى الدينا كافرين بسببهم ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون الضمير فى يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه حيث قال فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة أى بستان وهى الجنة والتنكير لأبهام أمرها وتفخيمه يحبرون يسرون يقال حبره إذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه المسار فقيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع فى الجنة وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة أى البعث فأولئك فى العذاب محضرون مقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجى من الوعيد فقال فسبحان الله والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيه الله من السوء والنثاء عليه بالخير فى هذه

فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (17) وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون (18) يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون (19) ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون (20) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (21)

الروم 21 - 17
الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة أو الصلاة فقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن فقال نعم وتلا هذه الآية وهو نصب على المصدرو المعنى نزهوه عما لا يليق أو صلوا لله حين تمسون صلاة المغرب والعشاء وحين تصبحون صلاة الفجر وله الحمد فى السموات والأرض اعتراض ومعناه أن على المميزين كلهم من أهل السموات والأرض أن يحمدوه وفى السموات حال من الحمد وعشيا صلاة العصر وهو معطوف على حين تمسون وقولة عشيا متصل بقوله الا كثران الصلوات الخمس فرضت بمكة يخرج الحى من الميت الطائر من البيضة أو الإنسان من النطفة أو المؤمن من الكافر ويخرج الميت من الحى أى البيضة من الطائر أو النطفة من الانسان أو الكافر من المؤمن والميت بالتخفيف فيهما مكى وشامى وأبو عمرو وأبو بكر وحماد بالتشديد غيرهم ويحي الأرض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك تخرجون تخرجون حمزة وعلى وخلف أى ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم والكاف فى محل النصب بتخرجون والمعنى أن الابداء والاعادة يتساويان فى قدرة من هو قادر على اخراج الميت من الحى وعكسة روى ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ فسبحان الله حين تمسون إلى الثلاث وآخر سورة والصفات دبر كل صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الامطار وورق الاشجار وتراب الأرض فإذا مات أجرى له بكل حرف عشر حسنات فى قبرة قال عليه السلام من قرأ حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك تخرجون أدرك ماب فاته فى يومه ومن نقالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته ومن آياته ومن علامات ربوبيته وقدرته ان خلفكم أى أباكم من تراب ثم إذا أنتم بشر أى آدم وذريته تنتشرون تنصرفون فيما فيه معاشكم وإذا للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الأرض ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها أى حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لامن جلس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الألف والسكون وما بين الجنسين